

الوحدة السياسية بين دولة الممالك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م) ودولة الممالك الجركسية (٧٨٤-٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م) وتنوعها

م.د. حسين ابراهيم محمد مصطفى

قسم الاجتماعيات / كلية التربية الاساسية: عقرة / جامعة دهوك

ملخص البحث:

تعدّ الوحدة السياسيّة بين الدولة المملوكيّة البحريّة والدولة المملوكيّة الجركسية وتنوعها من الموضوعات المهمة التي لم تلقَ العناية الكافية من الباحثين؛ لأنهم صبّوا جلّ اهتمامهم - في الغالب - على جوانب آخر من التاريخ السياسي المملوكي، وقد كان الباحث إليها قلة الدراسات والبحوث المستقلة التي تناولت عناصر الوحدة السياسيّة وتنوعها بينهما .

أمّا الدراسات التاريخيّة فقد عُنيت عناية كبيرة بدراسة التاريخ السياسيّ للإمارات والدول التي قامت في مغرب الدولة الإسلاميّة ومشرقها، ومنها الدولة المملوكيّة بشقيّها البحريّ والجركسيّ، ولم تتّجه جهود الباحثين إلى دراسة عناصر الوحدة السياسيّة وتنوعها وبيانها بينهما مع أنّهما قامتا بأداء دور مهم في مضمار التاريخ، والحضارة الإنسانية بشكل عام والإسلاميّة بشكل خاص؛ ولا تزال جوانب منها تحتاج إلى تظافر جهود الباحثين؛ لتكتمل الصورة السياسيّة لهاتين الدولتين، وعلى هذا الأساس انطلقت في هذا البحث لتناول الوحدة في الأوضاع السياسيّة وتنوعها لهاتين الدولتين اللتين تشكّلان جانباً مهماً في دراسة ما يقرب من ثلاثة قرون من تاريخ أمتنا الإسلاميّة... ويتعيّن على الدارسين كشف أبعاد التأثير الإسلامي في المقوّمات الأساسيّة لقيام الإمارات والدول التي ولدت من رحم دولة المركز (الأم)، وما أنجزته العقول الإسلاميّة هناك، فقد نجح المسلمون في بناء أمة ودولة مترامية الأطراف تسع ملايين الأفراد على اختلاف أعراقهم؛ والعيش بتآخٍ ووثام بكل يُسر مستفيدين من تراثهم السابق

وتجاربهم في تشييد حضارة رائعة خلفت ثروة هائلة مازالت فاعلة وحيوية في ميدان تاريخ والحضارة العالميّة.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين محمد وعلى آله وصحبه الطاهرين ومن اتبعهم الى يوم الدين، وبعد:

إنّ من الموضوعات المهمة المتعلقة بالتاريخ الإسلامي دراسة عناصر الوحدة بين الدول والإمارات الإسلاميّة وتنوعها التي ظهرت على الخارطة السياسية للدولة الإسلاميّة، تلك الدول التي ولدت من رحم دولة المركز (الأم) ولكي نبيّن أنّ الوحدة السياسيّة مثلما هي عنصر من عناصر القوة الدولة الإسلاميّة، نجد بالمقابل أنّ التجزؤ والتشرذم السياسي بدل أن يكون سيفاً مسلطاً لإضعاف دولة المركز، فإنّها ستكون عنصراً من عناصر القوة؛ لأنّه سيتيح لهذه القوة الجديد التي ستكون أقرب إلى مواقع الأحداث من المركز (الأم) لتؤدي دوراً تاريخياً بشكل أفضل ممّا تؤديه الأم التي بلغت درجة من الشيخوخة والإعياء والعمر الزمني والبعد المكاني عن الحدث، فيما لا يمكنها من أداء مهماتها للاستجابة للتحديات بالكفاءة المطلوبة؛ لذا يتعيّن علينا قبلولوج في لجة هذا البحث أن نحدد مفاهيم: الوحدة والتنوع، فالوحدة معروفة، ولكن ماذا يُقصد بالتنوع؟ وما علاقته بالوحدة؟ وأول ما ينبغي ملاحظته أنّ التنوع يعني في مجمل مفاصله التعدد في سياقاته المختلفة، فإذا كان الأمر على ما بيّنا والحال على ما وصفنا أدركنا أنّ الوحدة والتنوع هما ميزتان امتازت بهما تاريخنا الإسلاميّة، بل هما من سماتها الرئيسة، ومن عواملها الحيويّة الدافعة لها نحو التقدم والرفي في مدارج الحياة .

وتعدّ الوحدة والتنوع من الموضوعات المضيئة في تاريخ الحضارة الإسلاميّة، إذا ما دُرست بشكل منظم ومنهجي بعيد عن الانتقائيّة والتفسير

القسري للتاريخ، وإنما يجب دراستها في إطار عام، وهو حرية التفكير التي منحها الإسلام، وتلك الانطلاقة لتلك الحضارة التي كان للإسلام الدور المحوري في تكوينها وبلورتها، فالخلاف والاختلاف، والرأي والرأي الآخر أمر ذو مكانة كبيرة في الفكر الإسلامي في مناحي الحياة بعامّة، وكان ذلك من دوافع استمرارية تلك الحضارة لقرون من الزمن أبهرت العالم.

وتاريخ مصر العريق حافل بكثير من الدول التي تعاقبت في حكمها وبين هذه الدول العديدة التي زخر بها التاريخ المصري في العصور القديمة والوسطى والحديثة، تحتل دولة المماليك بشقيها البحريّة والجركسيّة (البرجيّة) مكانة خاصة بارزة تجعل من عصر سلاطين المماليك عنصراً جديراً بمزيد من الدراسة والبحث والتمحيص، هذا فضلاً عن أنّ الأحداث الخارجيّة والداخلية التي ارتبطت بذلك العصر لا تعكس أهميتها على تاريخ مصر والشام فحسب بل على تاريخ الدولة الإسلاميّة عامة في عصور الوسطى.

وإذا درسنا تاريخ المماليك لابدّ من الإشارة إلى تلك الأعداد من الجنسيات الأوربيّة والآسيوية المتباينة حملهم تجار الرقيق صغاراً إلى بلاد غير بلادهم ليشبوا في أرض جديدة وعلى ديانة جديدة وليصبحوا نواة الحكم وأداة الحكام وقوة المستقبل التي قدر لها أن تسيطر على مصائر البلاد أكثر من قرنين ونصف، قدر لها المشاركة في أكثر من أنجاز للأمة الإسلاميّة المتمثلة بالدفاع عن أرض الإسلام ونشره في بيئات جديدة وإغناء الحضارة الإسلاميّة بمعطيات حضارية جديدة.

التمهيد/ ظهور المماليك في العالم الإسلامي وقيام دولة المماليك البحريّة

(٦٤٨-٥٧٨/١٢٥٠-١٣٨٢م) ودولة المماليك الجركسيّة (٧٨٤-

٥٩٢٣/١٣٨٢-١٥١٧م) :

تعود الجذور الأولى للمماليك في العالم الإسلامي إلى ما قبل دولتهم بأمد طويل وربما كان أول من استعملهم الخليفة العباسي المأمون (١٩٨-٢١٨ هـ — / ٨١٣ - ٨٣٣ م) ثمَّ الخليفة المعتصم بالله (٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤١ م) الذي أكثر من شراء الأتراك وجعلهم قوة ضاربة^(١)، وبعد ذلك توسع استعمال المماليك ولاسيّما في الجيش إذ استعان بهم السلطان صلاح الدين الأيوبي في مواجهة الصليبيين^(٢)، وبعد وفاة صلاح الدين (٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م) ضعفت الدولة الأيوبيّة لأسباب منها كثرة النزاعات بين أمراء البيت الأيوبي للاستحواذ على السلطة وسعي كل أمير إلى تكوين كتلة تحيط به وتحمي إمارته فأكثرُوا من شراء المماليك الصغار من الرقيق البيض^(٣) .

واكثر الأمراء الأيوبيين إقبالاً على شراء المماليك هو الملك الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٦-٦٤٧ هـ / ١٢٣٨-١٣٤٩ م)^(٤)، الذي استكثر منهم بشكل كبير بعد أن تبين له ضعف ولاء القوّاد الأكراد الذين كانوا في خدمته^(٥)، وفساد نيّة الخوارزميّة^(٦) فعمد الصالح نجم الدين أيوب إلى تدعيم سلطانه بإنشاء جيش من المماليك ليحلوا محل الأكراد، والعناصر الأخرى التي قامت عليها الدولة الأيوبيّة فأقدم على شراء المماليك الأتراك إلى درجة لم يبلغها غيره من أهل بيته حتى صار معظم جيشه منهم^(٧) وترجع أصول المماليك الذين اعتمد عليهم الملك الصالح نجم الدين أيوب إلى مناطق القفقاز، إذ كان لتقديم المغول نحو الشمال أثره في تشتيت شمل قبائلهم في أرجاء قارة آسيا في حين تعرض بعضهم الآخر للاسترقاق^(٨)، ولما كانت مصر مزدهراً اقتصادياً في ذلك العصر نظراً لموقعها الجغرافي المهم على طريق التوابل بين الهند وأوروبا^(٩)، فقد دفع ذلك تجارة الرقيق إلى الإكثار من جلب المماليك إلى مصر والشام، وعمد الملك الصالح نجم الدين أيوب إلى اقتناء الأجود من بين أعداد المماليك الكثيرة الموجودة في سوق النحاسية^(١٠)، وأسند لهم الوظائف الرئيسية، فضلاً عن تنشأتهم

نشأة عسكرية إذ بنى لهم الثكنات في القلعة التي أنشأها بجزيرة الروضة في نهر النيل ليقموا فيها ولا يبارحوها وسماهم المماليك البحرية^(١١).

لم يلبث المماليك البحرية أن توصلوا إلى السلطة مستغلين الظروف والمتغيرات التي أحاطت بالمنطقة وعلى رأسها حملة لويس التاسع ملك فرنسا على مصر سنة (٦٤٧ هـ / ١٢٥٠ م) ودور المماليك في التصدي للصليبيين والانتصار عليهم في موقعة المنصور^(١٢)، ثم فارسكور^(١٣)، في العام نفسه^(١٤)، وكذلك انتصارهم فيما بعد على المغول التتار في موقعه عين جالوت - بالقرب من نابلس في فلسطين - سنة (٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م)^(١٥)، التي أوقفت الزحف المغولي وأنقذت مصر من خطرهم وأقصت المغول عن الشام، كما أن الانتصار في عين جالوت سهّل إعادة الوحدة بين مصر والشام وأعطت للمماليك السند الشرعي لحكم مصر والبلاد الإسلامية التي حرروها من الاحتلال المغولي^(١٦).

فقامت الدولة المماليك البحرية ابتداء من سنة (٦٤٨ - ٧٨٤ هـ / ١٢٥٠ - ١٣٨٢ م) بتولي الحكم السلطان المعز عز الدين أيبك التركماني (٦٤٨ - ٦٥٥ هـ / ١٢٥٧ - ١٢٥٠ م)^(١٧)، بدلاً من شجرة الدر^(١٨)، أرملة الصالح نجم الدين أيوب التي تزوجت من الأمير عز الدين أيبك، وخلعت نفسها من حكم مصر لأيبك بعد أن رفض الأمراء الأيوبيين والخليفة العباسي المستعصم بالله (٦٤٠ - ٦٥٦ هـ / ١٢٤٣ - ١٢٥٨ م) الاعتراف بسلطة شجرة الدر^(١٩)، وكان أبرز سلاطين دولة المماليك البحرية : المعز عز الدين أيبك، والمظفر سيف الدين قطز، والظاهر بيبرس، والمنصور سيف الدين قلاوون، والناصر ناصر الدين محمد وغيرهم من السلاطين^(٢٠)، إذ بلغ عددهم ثمانية وعشرون سلطاناً آخرهم السلطان الصالح صلاح الدين حاجي بن شعبان الذي خلفه برقوق الجركسي في الحكم سنة (٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م) معلناً قيام دولة المماليك الجركسية^(٢١).

أمّا المماليك الجركسيّة (البرجيّة) فهم عناصر قوقازية الجنس موطنهم الأصلي المنطقة الواقعة شرق البحر الأسود التي تعرف اليوم بجمهورية جورجيا، فقد تعرضت بلادهم إلى غزو التتار في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي فازدادت أعدادهم في أسواق الرقيق ووصلت أعداد كبيرة منهم إلى بلاد الشام ومصر^(٢٢)، وإذا ما علمنا أنّ سلاطين الدولة البحريّة كانوا أتراكاً فالبرجية شراكسة أو جراكسة باستثناء اثنين منهم وهما: خشقدم وتمريغا فهما روميان .

أمّا تسميتهم بالبرجية؛ لأنّهم أقاموا في أبراج القلعة بالقاهرة^(٢٣)، ويرجع تكوينهم بوصفهم فرقة جديدة إلى بداية حكم سلطان الدولة البحريّة المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/ ١٢٧٩-١٢٩٠م) الذي أكثر من شراء الجراكسة ليتخلّص من صراع المماليك البحريّة؛ وليضمن الحفاظ على السلطنة له ولأبنائه من بعده^(٢٤) .

وقد حرص المنصور قلاوون على تربيتهم التربية الدينية والعسكريّة ولم يسمح له بمغادرة القلعة مطلقاً ، فلمّا توفي المنصور قلاوون وخلفه ابنه الأشرف خليل (٦٨٩-٦٩٣هـ / ١٢٩٠-١٢٩٣م) سمح لهؤلاء المماليك بالنزول من القلعة أثناء النهار العوده إليه ليلاً ممّا ترتب عليه أمران : الأوّل: انغماس المماليك في الحياة العامة ومشاكلها بعد أن خرجوا من عزلتهم واختلطوا بغيرهم من عامة الناس ، والأمر الثاني: إنّ المماليك البرجية لم يلبثوا أن استثاروا حقد سائر طوائف المماليك الأتراك بعد ما أصبح فيه هؤلاء من نعمة وما حظوا به من مكانة مرقومة عند قلاوون، وابنه الأشرف خليل^(٢٥)، وبعد شهور أصبحت أعداد هؤلاء الجراكسة كثيرة وغدوا أصحاب رتب عسكرية فمنهم الأمراء، والقادة؛ لذا استطاعوا أن يتسّموا السلطنة ويحكموا البلاد^(٢٦) .

وحكم الجراكسة مصر والشام مايقارب المئة والأربعين عاماً تعاقب في حكمها ستة وعشرين سلطاناً لم تزد سنوات حكم كل فردٍ فيهم خمسة عشر

عاماً^(٢٧)، إلّا لأربعة منهم وهم الأشرف برسباي وقد حكم ١٦ سنة (٨٢٥ _ ٨٤١هـ/ ١٤٢٢-١٤٣٨م) والظاهر جقمق العلاني إذ حكم ٥ سنة (٨٤٢ _ ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨-١٤٥٢م) والأشرف قايتيبي وحكم ٢٩ سنة (٨٧٢ _ ٩٠١هـ/ ١٤٦٨-١٤٩٦م) والأشرف قانصوه الغوري وقد حكم ١٦ سنة (٩٠١ _ ٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م)^(٢٨)؛ لذا فإنّ السلاطين الجركسيّة (البرجيّة) قد ملك منهم تسعة في ٢٤ سنة وهم : برقوق، وفرج، والمؤيد شيخ، وبرسباي، وجقمق، واينال، وخشقدم، وقايتيبي، وقانصوه الغوري، أمّا الباقيون فكانوا كلّهم تقريباً قليلي الأهميّة^(٢٩).

وانتهى الحكم المملوكي عمومًا في مصر عام (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) والعنصر الجركسي (البرجي) بخاصة على أثر الهزيمة التي مُني بها السلطان طومان باي (٩٢٢-٩٢٣هـ/ ١٥١٦-١٥١٧م) على أيدي القوات العثمانيّة في معركة الريدانيّة^(٣٠) ، ودخول العثمانيين مصر وإنهاؤهم حكم دولة المماليك الجركسيّة^(٣١).

المبحث الاول/ الوحدة بين شخصيات السلاطين لكلا الدولتين وتنوعها:

قامت النظرية السياسية لدولة المماليك بجانبها البحريّة والجركسيّة على أساس أنّ جميع أمراء المماليك متساوون في أحقيّتهم بعرش البلاد الذي سيكون من نصيب أقوى الأمراء وأقدرهم على الإيقاع بالآخرين من ناحية وعلى أساس الحرص على الواجهة الدينيّة المتمثّلة في الحصول على تفويض الحكم من الخليفة الذي لم يكن له من الخلافة سوى اسمها^(٣٢).

وأوّل عناصر الوحدة والتنوع كانت في الجنس، فقد امتازت دولة المماليك البحريّة أنّ سلاطينها جميعاً كانوا أتراكاً ما عدا المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير الذي كان جركسياً ، في حين امتازت دولة المماليك الجراكسة أنّ سلاطينها جميعاً كانوا من أصل جركسي ماعد اثنين هما: خشقدم وتمربغا كانا من أصل يوناني، لكن الوحدة هنا تبرز في أنّ سلاطين الدولتين انحدروا من

مناطق القفقاق والبحر الأسود ، وتعرضت بلادهم إلى غزو المغول التتار، وجلبوا عن طريق التجار رقيقاً أبيض إلى سوق النخاسة في بلاد الشام ومصر وعملوا بإخلاص في خدمة أسيادهم ، وما لبثوا أن تبوؤوا الحكم في الدولتين البحريّة والجركسيّة^(٣٣) .

ثمّ يدخل عنصر الوحدة بين شخصيات سلاطين الدولتين في مواقفهم تجاه الخلافة العباسية المتمثلة بإحياء الخلافة العباسية في مصر على يد السلطان الظاهر بيبرس؛ لإعطاء الصفة الشرعيّة لحكمه والحيلولة دون وصول الطامعين إلى السلطة ، وليظهر أمام العالم الإسلامي بمظهر الحامي للخلافة^(٣٤)، واستمرار الخلافة العباسية طيلة حكم دولة المماليك البحريّة ودولة المماليك الجركسيّة، حتى سقطت الأخير بيد العثمانيين وانتهت معها الخلافة العباسية ، ولكن سلطة الخليفة منذ احتل المغول بغداد (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) أصبحت اسميّة فقط ليس للخليفة فيها حول ولا قوة^(٣٥)، وعلى الرغم من تولّي الخليفة المستعين بالله السلطنة سنة (٨١٥هـ/ ١٤١٢م) وهو كاره لهذا التنصيب ، إذ أدرك أنّه تدبير مؤقت فلا يمكن بحسب الرأي السائد أن يحكم البلاد إلّا المملوكي^(٣٦)، وفعلاً لم يمض عام حتّى خلع المستعين بالله عن السلطنة^(٣٧) .

ويبرز عنصر الوحدة والتنوع بين شخصية السلطان الظاهر بيبرس والسلطان الظاهر سيف الدين برقوق، الوحدة ليس بالنسب فالظاهر بيبرس من المماليك الأتراك الذين اشتراهم الأمير علاء الدين إيدكين البندقدار^(٣٨)، وهو أحد مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب، وعندما استولى الملك الصالح نجم الدين أيوب على ممتلكات علاء الدين البندقدار كان الظاهرة بيبرس من بين الذين استولى عليهم، وصار من المماليك البحريّة^(٣٩)، في حين كان برقوق جركسي الجنس من المماليك الذين اشتراهم الأمير يلغا الخاصكي واعتقه وجعله من جملة مماليكه^(٤٠)، ولكن الوحدة هنا تبرز في قوة هاتين الشخصيتين فالظاهر بيبرس يُعدّ من الشخصيات القلائل التي شهدتها التاريخ الإسلامي بعامة والتاريخ

المملوكي؛ لأنه استطاع الحاق الهزيمة بالصلبيين في موقعة المنصور، فكان على رأس فرقة المماليك البحرية التي ألحقت الهزيمة المنكرة بالصلبيين، كما استطاع إلحاق الهزيمة بالمغول في معركة عين جالوت سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) فكان ببيرس على رأس الطليعة الفدائية في محاربة المغول^(٤١)، وعندما تولّى الحكم قام بإحياء الخلافة العباسية في مصر وقاد الجيوش الإسلامية لإنهاء الاحتلال الصليبي في بلاد الشام، ودخل بلاد الروم وقضى على مملكة أرمينيا الصغرى لتعاونها مع المغول وأمن لنفسه السيطرة على الحجار، والأماكن المقدسة ومنطقة النوبة جنوب مصر^(٤٢)، وممّا زاد من نجاح الظاهرة ببيرس التخلص من الطائفة الاسماعيلية^(٤٣)، والاستيلاء على معاقلمهم في الشام بعد استغلمهم الصليبيون ضد المسلمين^(٤٤)، وبفضل هذه الانجازات تربع ببيرس على عرش الزعامة للعالم الإسلامي، وأصبحت القاهرة مركزاً مهماً من المراكز الحضارية في العالم^(٤٥)، وفي استعراض انجازات الظاهر ببيرس يُعدُّ بحق المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية^(٤٦)، وكذلك الحال بالنسبة للسلطان الظاهر سيف الدين بربوق الذي تزعم المؤامرة التي عصفت بالسلطان الأشرف شعبان ومن ثمّ يرجع إليه الفضل في إمداد الجراكسة بفرصة للسيطرة على مقاليد الحكم في دولة المماليك إذ مهدّ السبيل؛ لوصول الجراكسة إلى منصب السلطنة؛ لأنّ الظاهر سيف الدين بربوق نفسه كان جركسياً وهو أوّل من اعتلى السلطنة من الجراكسة الأمر الذي جعله المؤسس الحقيقي لدولة المماليك الجركسية في التاريخ^(٤٧)، وفي استقراء آلية تولّي كلا السلطانين الحكم يبرز عنصر التنوع بينهما فالسلطان الظاهر ببيرس وصل سدة الحكم عبر التصديّ ومقاومة المغول والصلبيين، أمّا الآخر السلطان الظاهر سيف الدين بربوق فقد تأمّر للوصول إلى الحكم^(٤٨).

أمّا بقيّة السلاطين المماليك البحرية فنجد أنّهم ساروا على مسيرة آبائهم وأجدادهم من حيث سيادة الأمن والاستقرار السياسي وساروا على خطاهم في قتل المغول، وتقويض دعائم الصليبيين بالشام إذ استطاع بيت قلاوون وعلى

رأسهم السلطان منصور قلاوون الذي أعلن مجدداً الحرب ضد الصليبيين ثم شرع في إعداد المعدات لحصار عكا لكنه ما لبث أن توفي سنة (٦٨٩هـ/١٢٩٠م) فقام ابنه الأشرف خليل بإتمام مشروع أبيه فتمكن من تحرير عكا وصور وصيدا وبذلك عادت جميع البلاد الساحلية الشاميّة إلى حوزة الإسلام في سنة (٦٩١هـ/١٢٩١م)^(٤٩)، وأكمل هذا المشروع الجهادي الناصر محمد بن قلاوون الذي تمكن من طرد الصليبيين من بلاد الشام سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م)^(٥٠).

وتمكن المماليك البحرية وعلى عهد الناصر محمد بن قلاوون مجدداً من إيقاف زحف المغول الذين زحفوا إلى بلاد الشام سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٣م) واصطدم معهم في موقعه مرج راهط^(٥١)، وانتصر انتصاراً حاسماً ودانت بلاد الشام لمصر ثانياً^(٥٢)، وهدأت الحروب بين المماليك والمغول على إثر الاتفاق الذي عقده السلطان الناصر محمد مع سلطان المغول أبي سعيد بهادرخان (٧١٦-٧٣٦هـ/١٣١٦-١٣٣٥م)، واعتنق على إثرها الإسلام^(٥٣).

ويبدو الحال نفسه في الدولة الجركسيّة (البرجيّة) فيما زال الخطر الصليبي في المشرق الإسلامي، نجد ظهور الخطر المغولي من جديد بقيادة تيمورلنك^(٥٤)، وتوليّه زعامة التتار الذي وسع رقعة دولته على حساب جيرانه، واستولى على العراق والرها في الجزيرة الفراتية، وهدد شمال الدولة المملوكيّة وأرسل كتاباً إلى السلطان الظاهر سيف الدين برقوق مليئة بالتهديد والوعيد فسار السلطان برقوق بالجيش المملوكي، والنقى بتيمولنك في البيرة^(٥٥)، وأنزل به الهزيمة وحفظ البلاد من الخطر المغولي^(٥٦).

عرف عن سلاطين الدولة البحرية منذ قيام دولتهم وحتى نهاية حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة (٧٤١هـ/١٣٤٠م) الورع التقوى والإيمان وانتشار الزهد وتصوف ولكن حدث تغاير في عصر أحفاد الناصر محمد إذ اشتدّ الانحلال الخلقي في ذلك العصر فاشتهر السلاطين بالإدمان على شرب الخمر حتى قيل عن السلطان المنصور صلاح الدين محمد أنه كان لا يفيق

عن السكر ساعة وعنده جوقة مغنيات نحو عشرة من الجواري، ويخلّ بالصلوات^(٥٧)، ويبدو الحال نفسه في دولة المماليك الجركسية فوجد التزام السلاطين بالتقوى والإيمان والعدل في المرحلة الأولى من دولتهم ولكن حدث التغير في المرحلة الأخيرة من حكمهم حتى قيل عن حياة السلطان محمد بن قايتباي (٩٠٢-٩٠٤هـ/١٤٩٧-١٤٩٨) الماجنة الخليعة فكان المغنون والمغنيات هم رفاقه في حفلات ليلية على نهر النيل ويهاجم مماليكه الناس في الشوارع ويدخلون البيوت ليلاً ويغتصبون الأموال من الناس من دون وجه حق^(٥٨).

المبحث الثاني/الوحدة في عوامل قيام الدولتين وعوامل سقوطهما وتنوعها:

أدى ضعف الدولة العباسية وتدهور نفوذ السلطة المركزية في بغداد عاصمة الخلافة إلى انقسام الدولة الإسلامية الكبرى على نفسها، وقيام عديد من الدول والإمارات انتشرت على حسابها في المشرق والمغرب على حدٍ سواء، وأدت هذه الدول والإمارات دوراً ما كان بمقدور الخلافة العباسية أن تؤديها والخلافة في هذا الوقت كانت تعاني الانحسار المكاني والضعف الزمني الشيخوخة وغير قادرة على أداء دورها في مواجهة أعدائها، ومن بين الدول المرموقة التي عرفت مصر والشام في تلك الحقبة من العصور الوسطى دولتا: المماليك البحرية، والمماليك الجركسية اللتان حكمتا هذه المنطقة المهمة من قلب العالم الإسلامي مدة تقرب من ثلاثة قرون^(٥٩).

أولاً : عوامل قيام دولة المماليك البحرية ودولة المماليك الجركسية :

١- العوامل الداخلية :

أ- طُمّاح أمراء المماليك البحرية في الوصول إلى سدّة الحكم خاصة بعد أن ازداد نفوذهم السياسي في الدولة الأيوبية في النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، إذ دبّروا مؤامرة مكنتهم من خلع العادل الثاني الأيوبي (٦٣٥-٦٣٧هـ/١٢٣٨-١٢٤٠م) وإحلال الصالح نجم الدين أيوب محلّه في السلطة^(٦٠)، وهكذا أحسّ الصالح نجم الدين أيوب بفضل المماليك عليه

وأهميتهم في توطيد سلطانه فعنى بهم عناية فائقة جعلت نفوذهم يتضخم في صورة ملموسه حتى كان أكثر أمراء العسكر من مماليكه البحريّة^(٦١)، يقابل ذلك طماح المماليك الجركسيّة (البرجيّة) الذين أضحوا على درجة من الكثر وحسن التدريب وشدة التماسك على عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون الذي سمح لهم بمغادرة أبراجهم والنزول إلى القاهرة، وأغدق عليهم المناصب العسكريّة^(٦٢).

ب – كان مقتل توران شاه بن الصالح نجم الدين أيوب سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) إيذاناً بزوال حكم الأيوبيين في مصر وانتقال السلطة إلى المماليك البحريّة الذين غدوا أصحاب السلطة الفعلية في البلاد ، وبدا ذلك واضحاً في اجماع الرأي عند أمراء البحريّة الصالحيّة على إقامة شجرة الدرّ أرملة أستاذهم الراحل الصالح نجم الدين أيوب^(٦٣)، يقابل ذلك مقتل السلطان الأشرف خليل ابن قلاوون فقد غضب الجراكسة (البرجية) لمقتله وثارَت ثائرتهم ولم يهدؤوا إلّا عندما قام الأمير طقجي البرجي بقتل بيدار الذي نفذ عملية القتل، فضلاً عن غيره الأمراء الذين تبين أنهم اشتركوا في هذه المؤامرة ، لذا كان من الطبيعي أن يختاروا أخا خليل، وهو الناصر ابن قلاوون^(٦٤)، وأدّى هذا الأمر إلى زيادة نفوذ البرجية وجعلت منهم قوة يحسب حسابها، وراحوا يفكرون في مصالحهم قبل مصالح السلطان^(٦٥)، وفضلاً عن دور البرجية المميز في دفع خطر المغول عن بلاد الشام في معركة شقحب قرب دمشق سنة (٧٠٢هـ/١٣٠٢م)^(٦٦)، فقد قويت شوكتهم بديار مصر وصار لهم الحمايات^(٦٧)، الكبيرة وتردّد الناس إليهم في الاشغال^(٦٨).

ج – اعترض خليفة بغداد العباسيّ المستعصم بالله، أن يتولّى حكم مصر امرأة الذي قال: ((إن كان الرجال قد عدمت لديكم فاعلمونا حتى نسير إليكم رجلاً))^(٦٩)، فتنازلت شجرة الدرّ عن الحكم لزوجها الأمير عز الدين أيبك^(٧٠)، وأجمع كبار أمراء المماليك البحريّة على مبايعته سلطاناً للبلاد باسم الملك المعز عز الدين أيبك التركماني سنة (٦٤٨-٦٥٥هـ/١٢٥٠-١٢٥٧م) معلناً قيام دولة

المماليك البحريّة^(٧١)، وبالمقابل نجد أنّ بؤفاة السلطان الناصر محمد قلاوون سنة (٧٤١هـ-١٣٤٠م) دخلت دولة المماليك مرحلة جديدة في تاريخها يصحّ تسميتها (عصر أبناء الناصر محمد وأحفاده)^(٧٢)، فالملك إلى الصغار من آل قلاوون، فسرت الفتن في البلاد فرأى الخليفة العباسي والقضاة والأمراء أن يؤلّوا الملك رجلاً قوياً ينقذ الرعاية من الفساد، وبما أنّ أحداً لم يكن يجزئ على منافسة برقوق الذي قام بخلع السلطان حاجي وتسلطن مكانة وبذلك قامت دولة المماليك الجركسية^(٧٣).

د- كانت الجهة التي ساندت المماليك البحريّة في الظهور على مسرح الأحداث ومهدت السبيل لهم لقيام دولتهم هم الأيوبيون (الأكراد) على عهد الصالح نجم الدين أيوب، فقد قام المماليك لأوّل مرّة بدور سياسي ضاغط، وأضحى المماليك الأداة الطيّعة للأمراء الأيوبيين للاحتفاظ بسلطانهم وتفوقهم ممّا أدّى إلى تضخّم نفوذهم السياسي^(٧٤)، أمّا الجهة التي ساندت المماليك الجركسيّة فلم تكن عربيّة كذلك بل كانت من المماليك البحريّة (الأتراك) على عهد السلطان منصور قلاوون الذي اتّجه إلى تأسيس طائفة مملوكيّة خاصّة به تساعد في توطيد حكمه من الداخل، وتسانده في السياسة الخارجيّة ويكون اعتماد عليها دون الطوائف المملوكيّة الأخرى^(٧٥)، وعند استقرارنا للكلام سالف الذكر يظهر التنوع في القيادات السياسية والإقليمية وتأكده مع الحفاظ على الوحدة في الأسس والأهداف والملاحم العامة وإظهار الوجه الآخر للتنوع السياسي العرقي الذي ينطوي على معطيات إيجابية .

٢- العوامل الخارجيّة :

أ- من العوامل التي مهّدت الطريق للماليك البحريّة في إقامة دولتهم استغلالهم للظروف والمتغيرات السياسية التي أحاطت بالعالم الإسلامي بعامّة والمنطقة بخاصّة وعلى رأسها الحملة الصليبية السابعة، حملة لويس التاسع ملك فرنسا على مصر، ودور المماليك في التصدي للصليبيين والانتصار عليهم في موقعه

المنصور ثم فارسكور في العالم نفسه^(٧٦)، وكذلك تصديهم فيما بعد للمغول في موقعه عين جالوت^(٧٧)، وهكذا كان هذه الانتصارات التي حققها المماليك بمثابة صرخة الميلاد للدولة الجديدة ، ونقطة انطلاق لهذه الدولة الجديدة للدفاع عن العالم الإسلامي^(٧٨) ، في حين لا نجد أي تأثير للعوامل الخارجية في قيام دولة الجركسية؛ لأنها تُعد استمراراً للدولة الأولى (المملوكية البحرية) في الهدف، والتركيب العسكري^(٧٩) .

إذاً بوسعنا القول إنَّ عناصر الوحدة في أسباب قيام الدولتين المملوكية هي : طماح أمراء الدولتين في قيادة دفّة الحكم بعد توافر العوامل المساعدة لذلك ، فضلاً عن مقتل توران شاه بالنسبة للمماليك البحرية، ويقابل ذلك مقتل السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، زيادة على ذلك اعتراض الخلافة العباسي على تولّي الحكم امرأة في الدولة البحرية، ويقابله رغبة الخليفة العباسي وإصراره في تولّي الملك رجلاً قوياً، علاوة عن الجهات غير العربية التي ساندت الدولتين .

أمّا عنصر التنوع في قيام الدولتين فيمكن بتدخل العوامل الخارجية في قيام دولة المماليك البحرية والمتمثلة بالهجمات الضاربة التي شنّها الغرب الصليبي، واستهدفت ضربة الإسلام واتخذت من أرض مصر مسرحاً لها حيناً، ومن أرض الشام المسرح الرئيس أحياناً آخر، وقام المماليك البحرية بمسؤولية الدفاع ضد هذا الخطر ، فضلاً عن تصديهم لخطر آخر أتى من الشرق وتمثّل في غزوات المغول الذين داهموا بلاد الشام حتّى وصلوا جنوب فلسطين، وتمكّن المماليك البحرية من إلحاق الهزيمة به وإعادة الوحدة بين مصر والشام ، بالمقابل لا نجد أي تأثير خارجي في قيام دولة الجراكسة بل إنّها كانت وكما أسلفنا امتداداً للدولة المملوكية البحرية .

ثانياً : عوامل سقوط دولة المماليك البحرية ودولة المماليك الجركسية:

لم يشهد التاريخ منذ القدم بقاء دولة ما على حال واحدة من العزة والرفعة، وإنّما تخضع الدول لسنة الطبيعة ما بين نشأة وشباب ثمّ الانتقال تدريجياً إلى

مرحلة الشيخوخة تتحوّل فيها قوة الدولة ضعفاً وتدب في جسدها الأمراض التي تمهد لسقوطها، ويمكن أن نعزو أسباب انهيار دولة المماليك البحريّة وسقوطها إلى أسباب وعوامل داخلية وخارجية:

١- العوامل الداخلية :

أ- صغر سن السلاطين الذين تعاقبوا على الحكم بعد وفاة السلطان الناصر محمد إذ نتج عن تنصيب صبية صغار وقصر حكمهم ظهور نفوذ الأتابكة^(٨٠)، بشكل جلي وتركيز السلطة في أيديهم وتوارى السلطان في الظل ليس له من الأمر شيء^(٨١)، ولم يكن خلفاء الناصر محمد من القوة ما يستطيعون به القبض على زمام الأمور والمحافظة على البقاء الحكم بينهم^(٨٢).

ب - ازدياد نفوذ الأمراء وتحكمهم في مصالح البلاد وتلاعبهم بالسلاطين بالتعيين والعزل والقتل على وفق أهوائهم نتج عنها اشتداد الصراع بين الأمراء، وازدياد التناحر والعداء بين طوائف المماليك الذين انقسموا شيعاً يتقاتلون فيما بينهم ممّا أغرق البلاد في بحر من الفوضى^(٨٣).

ج - إلغاء نظام ولاية العهد بعد وفاة السلطان الناصر محمد، وطبق المماليك المبدأ الوراثي فأقيم سلاطين من بيت الناصر محمد من دون تقيد باستمرار السلطان في الحكم حتى وفاته، بل يصحّ خلعه إذا لم يرض الأمراء عنه وإقامة غيره^(٨٤).

د - تدهور الأحوال الاقتصادية، كان للعامل الاقتصادي أثره في سقوط دولة المماليك البحريّة فالخزانة أصبحت خاوية بسبب الثورات والفتن الداخلية التي استنزفت الأموال الطائلة لغرض إخمادها، وانتقال مقاليد السلطة إلى أيدي كبار الأمراء الذين كانوا يعملون على ترسيخ مكانتهم في البلاد عن طريق تفريق الأموال على الفرق المملوكية بغية استمالتهم إلى جانبهم لتحقيق أغراضهم السياسية فضلاً عن انتشار المجاعات والأوبئة التي أتلّفت المحاصيل الزراعية، وأضرّت باقتصاديات البلاد علاوةً عن النظام الإقطاعي الذي كان سائداً في

البلاد^(٨٥) ولاسيما على عهد آخر سلاطين البحريّة السلطان حاجي (٧٨٣-٧٨٤هـ/١٣٨٢-١٣٨٣م) فقد ضربت البلاد في عهد موجة من القحط والجفاف أهلكت الحرث والنسل^(٨٦).

هـ - اشتداد الانحلال الخلقي بشكل واضح على أواخر دولة المماليك البحريّة، إذ كان السلاطين وكبار الأمراء هم مصدر هذا البلاء فاشتهروا بالإدمان على شرب الخمر، والبذخ مع الانحلال والفساد، حتّى قيل عن السلطان حاجي آخر سلاطين البحريّة أنّه كان يجتمع بأوباش الناس وطبقاتهم المنحطّة يلعبون بالحمام تاركاً شؤون الحكم^(٨٧).

و- ازدياد نفوذ طائفة المماليك الجركسيّة ازدياداً مضطرباً فاستطاع أفرادها كسب الجولة الأخيرة من الصراع الذي احتدم بين طوائف المماليك حتّى انتزع السلطنة سنة (٧٨٤هـ/١٣٨٢م) وتأسّس دولة المماليك الجركسيّة، وبذلك انتهت دولة المماليك البحريّة وانتهت أسرة قلاوون^(٨٨).

٢- عوامل خارجية:

الحملة الصليبيّة على الاسكندرية (٧٦٧هـ/١٣٦٥م) بقيادة ملك قبرص بطرس لوزجنان (لوزنيان)؛ لفرض حصار اقتصادي على شواطئ مصر والشام لمنع التجارة الأوربيين من الوصول بسفنهم التجارية إليها والمتاجرة مع دولة المماليك البحريّة فتصاب تجارتهم بالكساد والبوار، ويفقدون الأساس الأول لثروتهم، وكان الاعتقاد السائد عند الصليبيين أنّ ضياع الاسكندرية سيؤدي إلى تعرّض دولة المماليك إلى الحصار الاقتصادي نظراً لأهميتها بوصفها ثغراً تجارياً عالمياً^(٨٩)، وكان أن وصلت السفن الصليبية إلى الاسكندرية فاحتلوها وانتشرت قواتهم في شوارع المدينة يحرقون المساجد ويخربون الخانات ويدمرون المنازل وينهبون كل ما وصلت إليه أيديهم من بضائع وأموال ومن ثمّ انسحبوا منها^(٩٠)، وهكذا قضى الصليبيون في الاسكندرية نحواً من ثلاثة أيام كانت من أسوء الأيام في تاريخها، وقد علّق المقرئزي على ما حل بالإسكندرية

جرّاء حملة بطرس الأول بقوله: ((كانت هذه الواقعة من أشنع ما مر بالإسكندرية من الحوادث ومنها اختلت أحوالها واتضع أهلها وقلت وزالت نعمهم))^(٩١).

أمّا عوامل سقوط دولة المماليك الجركسيّة فيمكن أن نعزو أسبابها إلى عوامل داخلية وخارجية:

١- العوامل الداخلية :

أ- تراجع زعامة المماليك في العالم الإسلامي، فبعد نجاح المماليك في مواجهة الاخطار التي تعرض لها العالم الإسلامي، تحوّل السلاطين إلى دعاة لزعامة المسلمين، وحملوا لقب (حماة الإسلام والمسلمين) وسادت أوساطهم نزعة التفرد الديني والسياسي^(٩٢)، وبرزت قوة إسلاميّة جديدة هي الدولة العثمانية، صارت جديرة أن تتزعّم المسلمين وتقودهم، بينما ظهر عجز المماليك في مواجهة أوروبا المتوثّبة، وأصبحت غير قادرة على حماية أرواح المسلمين ومدنهم ولا حتى ضمان سلامة الحج، إذ أوقف الحج لأوّل مرّة عام (٩١٢هـ/١٥٠٦م) بصورة مؤقتة في عهد المماليك الجركسيّة^(٩٣).

ب - الانحلال الاجتماعي، إذ ظل المماليك على مدى ثلاثة قرون يعدّون دولتهم طرازاً أنموذجياً للمجتمع المسلم العادل المحافظ على مبادئ الشرع^(٩٤)، وتغيّر واقع الحال مع مرور الزمن وأضحى الأمر بعيداً كل البعد عن الصورة التي رسمت، إذ معظم المسلمين بدأوا منذ أواخر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي يشعرون بتراجع دولة المماليك الجركسيّة على الصعيد الاجتماعي، وجأهروا أن مصر أضحت بلداً لا يطبّق مبادئ الشريعة الإسلامية^(٩٥)، وتسابق القائمون على أمور الدولة على سرقة أموال الخزينة وممتلكات الأوقاف، ويسرفون في تعاطي الخمر والحشيش^(٩٦)، وانتشر الجوع والتسول في كلّ أنحاء البلاد المصريّة والشاميّة، وأضحى فقدان المواد الغذائية في القاهرة ظاهرة مستديمة^(٩٧)، فانفض كل فئات الشعب عن الحكومة وأصبحوا ينتظرون إليهم

نظرة معتصبين وفاسقين وعُدَّت ممارسة الوظيفة العامة عاراً، وعمت مشاعر الاستياء ضد السلاطين من فئات المجتمع كافة^(٩٨).

ج - انعزال الممالك عن المجتمع، إذ كونوا مجتمعاً مغلقاً خاصاً بهم فلم يختلطوا بالناس بل ظلُّوا بمعزل عنهم، وتحفظوا على جنسهم ولغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم واستمروا يتحدثون التركية شرطاً أساسياً لاعتلاء الحكم أو الوظائف الحكومية وانحصر زواجهم بالنساء التركيات أو بنات الأمراء نادراً ما اقترنوا بالنساء المصريات أو الشاميات، وظلُّوا منعزلين عن المجتمع ولم تنشأ أوامر بين الحاكم والمحكوم^(٩٩)، وانقسم الممالك إلى أحزاب وشيع لكل حزب زعيم، وكان المملوك في بداية العهد المملوكي شديد التمسك بالسلطان أو الأمير الذي اشتراه كثير التقيد بحزبه وأسرته حتى بعد وفاته، لكن الأمر تغير في أواخر الدولة الجركسية فكان النزاع الذي يقع بين الأحزاب المختلفة سبباً في تعكير صفو الإدارة الحكومية^(١٠٠)، ثم إنَّ رفض مبدأ الوراثة جعل الصراع على السلطة مشاعاً للجميع، فزاد من نشاط الأمراء الطامعين الذين انتهجوا الثورات والانقلابات للوصول إلى الحكم ممَّا خلق حالة من الفوضى وعدم الاستقرار، وفتح باب الصراعات أمام الأمراء الأقوياء للوثوب إلى العرش^(١٠١).

د - فساد النظام الإداري والعسكري : بدأ التنظيم الإداري والعسكري المملوكي يفقد تأثيره ومكانته تدريجياً في الدولة الجركسية، وأساء الأمراء استعمال الصلاحيات الواسعة التي منحت لهم، ولم يتقيد السلاطين أنفسهم بهذه الصلاحيات، وظهرت بذور الفساد مع حكم سلاطين صغار وضعفاء وتنامي أطماع الأمراء الأقوياء على حساب السلاطين الضعفاء مثل: أمير الأخور الكبير^(١٠٢)، وأمير السلاح، وأتابك العساكر الذين فرضوا سيطرتهم على الخيل والسلاح والجيش وأفقدوا السلاطين قدرتهم على الإدارة وفرض الحكم السياسي والعسكري^(١٠٣)، وأصيب الإدارة بالفساد، لاسيَّما الماليَّة منها، فأضعف السلاطين والأمراء منصب الوزارة، وتشتتت صلاحيات الوزير على منصب

الاستدارية^(١٠٤)، وأضحى الاستادار أعلى رتبة من الوزير، وفرض ضرائب استثنائية وتسلطوا على التجارة، وانتشر الفساد في الإدارة والجيش وباقي القطاعات^(١٠٥).

هـ - فساد النظام الإقطاعي : تميز العصر المملوكي بظاهرة الإقطاع في المؤسسة الاجتماعية والاقتصادية واتبعت السلطنة سياسة جديدة في توزيع الإقطاعات والعقارات، فبعد أن كانت وراثية، ثم تحول إلى إقطاع شخصي غير وراثي، وزعت الأراضي للأمرء والأجناد من جديد، وبشئ أنواع الإقطاعات والأراضي^(١٠٦)، ودخلت السلطنة في هذا النظام الإقطاعي طوراً جديداً لتوطيد سلطتها وعدم اهتمام الأمرء بإقطاعاتهم؛ لأنها غير وراثية واعتمدوا على الرواتب النقدية والعينية، وعجزت الدولة عن دفع النفقات العسكرية واضطر السلطان إلى فرض المزيد من الضرائب^(١٠٧)، ولما كان الجيش في عصر المماليك يعتمد في نظامه على الإقطاع فقد أدى فساد النظم الإقطاعية في الدولة الجركسية إلى ضعف الجيش، وانهيار دعائمه^(١٠٨).

و- التدهور الاقتصادي : اعتمدت الدولة المملوكية بجناحيها البحري والجركسي، على الاقتصاد بنية أساسية، وعندما شهد الضعف كان إيذاناً بالانحلال والضعف ثم الانهيار فقد استندت الدولة المملوكية الجركسية على التجارة والزراعة أساس الاقتصاد والاستقرار والقوة، وشهد التدهور الاقتصادي بداية اعتلاء السلطان قايتباي عرش السلطنة سنة (٨٧٢هـ/١٤٦٨م) إذ أخذ الانحلال الداخلي وعدم قناعة الأمرء بالسلطين، ثم عدم طاعتهم أو قناعاته بإقطاعاته وتدهور المماليك في معاملتهم ونهب أموالهم، وممتلكاتهم، والثورة المستمرة من حين لآخر من الأمرء ضد السلطان بحجة عدم كفاية الأموال أو من الأهالي، والعامّة ضد الأمرء بسبب القسوة والعنف والاضطهاد^(١٠٩)، وقد عبث المماليك بكل شيء، حياة الناس وحرهم، ومكانة الفقهاء والعلماء وهيبتهم، وحدث في عام (٩٢١هـ/١٥١٥م) عندما نُودي في العسكر بالخروج لمواجهة

العثمانيين أن نزل الممالك من القلعة، وأطلقوا النار على الناس، وأخذوا بغال القضاة والعلماء والتجار، وهجموا على الحارات والبيوت، وأنزلوا الفقهاء عن بغالهم في وسط الأسواق، وأخذوها من تحتهم^(١١٠)، وكان من الطبيعي أن يترك هذا التصرف أثره في الحالة الاقتصادية، فأغلقت الطواحين وفقد الخبز من الأسواق وكذلك الدقيق، وعم القحط بين الناس، واختفى أصحاب الحرف والتجارة واضطربت أوضاع القاهرة، وفقد الأمن الذي يشكل أساساً الاستقرار الاقتصادي^(١١١)، هذه العوامل فضلاً عن بذخ السلاطين والإنفاق الزائد، وكذلك فرض الضرائب والمكوس على التجارة وجمع خراج الأرض من الفلاحين قبل استحقاقه، وقبل جمع المحصول... ناهيك على أن النظام المملوكي فقد أسسه وركائزه وأهمل وعمت الفوضى وعدم الاستقرار، وبدأ السلاطين بجلب ممالك كبار لم يتدربوا أخلاقياً أو دينياً أو عسكرياً مثل الممالك الأوائل، وشبوا منذ الصغر على أسس غير المتعارف عليه عند الممالك، كل هذه العوامل ساهمت في الانهيار الاقتصادي في الدولة المملوكية الجركسية، وإضعاف الدولة، والدفع بها إلى الانهيار والسقوط^(١١٢).

٢- العوامل الخارجية :

تعدُّ العوامل الخارجية من ضمن المسببات لضعف دولة الممالك الجركسية بل ساعدت العوامل الداخلية السالفة الذكر في إضعاف وحدة الدولة أمام العدو الخارجي، وأدَّى الانشقاق الداخلي في صفوف المسلمين في العالم الإسلامي إلى إضعاف المجتمع الإسلامي تجاه العدو الخارجي، كما إنَّ النزاع الديني الذي أعاق علاقات الشرق بالغرب أخذ يتفاقم من جديد في أواسط القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وظلَّت الصليبية الغربية المتجددة العدو الرئيس للإسلام والمسلمين، وعليه فإنَّ أهم العوامل الخارجية التي ساهمت في سقوط دولة الممالك الجركسية وهي كما يأتي:

أ- الحملات العسكرية الصليبية التي قادها البرتغاليون الذين استجابوا لنداء البابوية ونظموا حملات منذ عام (٨١٨هـ/١٤١٥م) ضد شمال أفريقيا واكتشافهم طريق رأس الرجاء الصالح ووصولهم بحراً إلى الهند وضرب السفن المملوكية فيها وقضائهم على التجارة المملوكية في الشرق الأقصى بعد أن سدوا منافذ المحيط الهندي والخليج العربي بأساطيلهم^(١١٣)، كانت بمثابة الكارثة للدولة الجركسية، التي قضى عليها البرتغاليون من حيث الثروة والقوى العسكرية^(١١٤).
ب- الضربة الثانية التي قضت على الدولة المملوكية الجركسية نهائياً جاءت على أيدي العثمانيين مع ما بين الطرفين البرتغالي والعثماني من تباعد، إلّا أنّهما اتحدا بالهدف وأنهى السلطان سليم الأول العثماني (٩١٨-٩٢٦هـ/١٥١٢-١٥٢٠م) دور المماليك الفعال في معركة (مرج دابق)^(١١٥)، ثمّ قضى على دولتهم المستقلة في معركة (الريدانية) بالقرب من القاهرة، في التاسع والعشرين من ذي الحجة سنة (٩٢٢هـ/١٥١٧م) وورث مملكتهم وألقابهم ليكون حامي الإسلام والمسلمين، وتبدأ صفحة جديدة من التنوع السياسي الإيجابي في الدولة الإسلامية^(١١٦).

وإذا ما وقفنا عند عناصر الوحدة في سقوط الدولتين نجد أنّ العوامل الداخلية أدّت دورها في الدولتين متمثلة بتولي سلاطين ضعفاء في الحقبة الأخير من عمر الدولتين وازدياده نفوذ الأمراء واستبداد سطوتهم، وتحكّمهم في مصالح البلاد، فضلاً عن سوء الإدارة والانحلال الخلقي لسلاطين الدولتين، وتعاطيهم المحرمات والابتعاد عن تطبيق الشرع الإسلامي، ناهيك عن التدهور الاقتصادي الذي يُعدّ من العوامل الرئيس في سقوط الدولتين في حين نجد أنّ عناصر التنوع والاختلاف تدخل في بقية العوامل الداخلية.

أمّا على صعيد العوامل الخارجية فنجد عناصر الوحدة في إضعاف وسقوط الدولتين تتمثل بالحملات الصليبية الموجهة ضد الدولتين إذ كانتا مركز الخلافة الإسلامية، ولأجل إضعاف الدولتين عملوا على ضرب تجارة الدولتين ويفقدون بذلك الأساس الأوّل لثروتها؛ لأنّ الدولة المملوكية، بشقيها البحريّ

والبرجيّ، كانت تستمدّ ثروتها وقوتها من احتكار التجارة بين الشرق والغرب، تلك الحملات التي كانت تمثّل الحلقة الأخيرة للحملات الصليبيّة الموجهة ضد العالم الإسلاميّ .

أمّا عناصر التنوع في العوامل الخارجيّة التي أدّت إلى سقوط الدولتين، فنجد أنّ الدولة البحريّة سقطت على يد قريبتها الدولة الجركسيّة التي تُعدّ امتداداً لها، في حين نجد أنّ الدولة الجركسيّة سقطت على أيدي الدولة العثمانية وبسقوطها، انتهت سلطنة المماليك لتظل مصر والشام بضعة قرون تحت السيادة العثمانية، وليتحقق قول الله سبحانه وتعالى: ((وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ))^(١١٧)، وتُعدّ هذه الحالة قمة الوحدة السياسيّة الإيجابيّة وتنوعها؛ لأنّ العثمانيين جاؤوا في الوقت المناسب بعد أن استنفذ المماليك طاقتهم وقدراتهم العسكريّة نتيجة للصراعات الداخليّة بالدرجة الأولى حتّى قبل اكتشاف رأس الرجاء الصالح وتحول خطوط التجارة العالمية التي كانت تمر مصر والشام وهي أراضي مملوكية تدرّ عليها موارد كبيرة مكنتهم من الاستمرار والقوة، وهذا انتهت باكتشاف رأس الرجاء الصالح، أو الضعف إلى حدّ كبير، قبل هذا كان الصراع الداخلي بين المماليك أنفسهم الذين كانوا دمويين بمعنى الكلمة، فليس ثمة سلطان يأتي إلى الحكم إلّا في أعقاب قتل السلطان الذي سبقه بعمليات تصفية دمويّة متواصلة أضعفتهم إلى حدّ كبير. ولمّا جاء العثمانيون بهذه القدرات الشابة تسلّموا السلطة وملؤوا الفراغ المطلوب وحملوا وحدة الأرض الإسلاميّة من التفكيك، وجابهوا التحديات الأوروبيّة لا بل تفوّقوا عليها باختراقهم العمق الأوروبي، والوصول إلى (فيينا)، خلاصة القول إنّ الدولة المملوكية كانت قد سقطت قبل أن تسقط تحت سنانك الخيول العثمانيّة .

المبحث الثالث/ الوحدة في السياسة الداخليّة والخارجيّة لكلا الدولتين وتنوعها:

١- **السياسة الداخلية:** تميّزت السياسة الداخلية للدولة المملوكية بجناحها البحري الجركسيّ بجهود السلاطين في توطيد أركان حكم دولتهم بالتصديّ للحركات والثورات المناوئة لحكمهم متمثلة بـ — :

أ- جهود السلاطين في القضاء على المعارضة الأيوبية وكان من الطبيعي أن يقف الأمراء الأيوبيين في بلاد الشام موقف العداء للدولة البحرية، والواقع أن الأمراء الأيوبيين الذين ظلوا يعتقدون أنهم أصحاب الحق الشرعي في حكم مصر وبلاد الشام بوصفهم من سلالة صلاح الدين الأيوبي، وأن ما جرى يُعدّ خروجاً للسلطنة في مصر على البیت الأيوبيّ لذلك رفضوا حلف اليمين للسلطنة الجديد -شجرة الدر- وشاركهم بعض الأمراء المماليك في بلاد الشام^(١١٨)، فقد رفض المماليك

(القيمرية)^(١١٩)، في دمشق قسم يمين الولاء والطاعة للسلطنة الجديد وشاركهم بعض الأمراء الصالحية في بلاد الشام، فتضعفت الأوضاع في بلاد الشام ولم يلبث أن التهب الموقف، وبدى واضحاً أن الأمراء الأيوبيين سيتخذون موقفاً متصلباً من التطورات الجديد في مصر^(١٢٠)، وبذلك خرجت بلاد الشام من قبضة المماليك وانقسمت الجبهة الإسلامية التي وحّدها صلاح الدين الأيوبي وأخيه العادل مرة أخرى، فأضحت مصر في يد المماليك وبلاد الشام تحت سيطرة الأيوبيين^(١٢١)، واستمرت الحالة حتى معركة عين جالوت فانتهت الزعامة الأيوبية تماماً على بلاد الشام واستطاع المماليك توحيد مصر والشام في دولة واحدة^(١٢٢).

ب - ثورات القبائل العربية ضد حكم المماليك البحرية، وجدت في مصر في العصور الوسطى قبائل عديدة من العرب (البدو) وهؤلاء انتشروا في أجزاء مختلفة من البلاد وكان هؤلاء البدو دائماً مصدر فتن ومتاعب للحكام والمحكومين سواء^(١٢٣)، وقد حاول السلطان المعز أيبك أن يحدّد من قوة البدو في مواجهة قوة الأمراء الأيوبيين المناوئين لحكم المماليك البحرية، ولكن البدو أنفوا

من الخضوع للمماليك وثارَت قبيلة بني تغلب، وهي أقوى قبائل العرب في الصعيد ونادى زعيمها حصن الدين بن تغلب: " أنا أحقُّ بالملك من المماليك وقد كفى أنا خدمنا بني أيوب وهم خوارج خرجوا عن البلاد "(١٢٤)، وهكذا أعلن حصن الدين بن تغلب نفسه ملكاً على الصعيد، ولكن السلطان أيبك أرسل جيشاً ألحق الهزيمة بالعرب البدو وأخضعهم سنة (٦٥٠هـ / ١٢٥٣م) (١٢٥) .

ومن الواضح أنَّ العرب (البدو) في مصر كانت تراودهم في أوائل عصر المماليك فكرة إقامة سلطنة عربية يكون الحكم فيها للعرب، وإذا كان تطوُّر الأحداث قد أثبت لهم استحالة تنفيذ هذه الفكرة بعد أن ثبتت دعائم سلطنة المماليك فإنَّ ذلك لم يمنع العرب (البدو) من المشاركة في الأحداث السياسية الجارية حسبما تطلَّبت مصالحهم، وكانت معظم حركاتهم تظهر عند قيام سلطان جديد أو أثناء حكم سلطان قاصر وهي أوقات الاضطراب عادة في تاريخ دولة المماليك البحريَّة (١٢٦) .

استمرت ثورات البدو ضد سلاطين الدولة البحريَّة حتَّى تمكَّن السلطان ناصر محمد بن قلاوون من كسر شوكتهم سنة (٧٠١هـ / ١٣٠١م)، ولم تُعدَّ حركات البدو تتخذ شكلاً سياسياً، وإنما اتخذت صوراً اقتصادياً، وهو ما تسميه المراجع عادة باسم (فساد العربان) وهكذا أخذ البدو في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع والخامس عشر الميلاديين يتطَرَّقون في نهب الغلال وسلب المواشي، ويدفعهم الضيق الاقتصادي إلى الامتناع عن دفع الخراج والضرائب المقررة عليهم (١٢٧)، وظل العرب (البدو) طوال عصر المماليك بشقيها البحريَّة والبرجيَّة مصدرًا مهمًّا من مصادر الفتنة والقلق وعدم الاستقرار .

ج - جهود سلاطين المماليك في التصدي للثورات التي عصفت ببلاد الشام في العصر المملوكي بشقيها البحري والجركسي : إذ لم تكن بلاد الشام في عصر المماليك مجرد إقليم من أقاليم الدولة إنما كانت أهم من ذلك بكثير، لقد كانت الجناح الأيمن الذي من دونه يتعذَّر على دولة الاحتفاظ بكيانها وتوازنها، والثبات

في وجه الأخطار الضخمة التي هددت تلك الدولة من جانب الأيوبيين والتتار والصليبيين ومن جانب الأرمن والتركمان ثمَّ العثمانيين أحياناً آخر، وهكذا أدرك سلاطين المماليك منذ أقاموا دولتهم من مصر أنه لا بقاء لهم ولا لدولتهم إلا في ظل وحدة تربط بين الشام ومصر تحت حكمهم وتضمن لهم مراقبة التيارات العديد التي يمكن أن تؤثر في كيانهما فضلاً عن مراقبة الطرق الرئيس التي سلكها الأعداء في تهديدهم لمصر والشام في العصور الوسطى^(١٢٨)، وإذا كان سلاطين المماليك قد نظروا إلى بلاد الشام نظرة خاصة فإننا نلاحظ في الوقت نفسه أن نواب الشام وأمراء المماليك في تلك البلاد أدركوا أهميتها، واستغلوا موقع البلاد من ناحية وبعدها عن مركز السلطنة من ناحية أخرى في محاولة فرض إرادتهم وإملاء كلمتهم على السلاطين وكثيراً ما أحسَّ أمراء المماليك في الشام بنفوذهم وقوتهم فأعلنوا الثورات في وجه السلاطين في مصر^(١٢٩).

ومع قيام دولة المماليك وكما أسلفنا انطلق أول صوت للمعارضة من دمشق، فقد رفض القيميَّة أن يُقسِّموا يمين الولاء للسلطنة شجرة الدر، واستمر الحال إذ في سلطنة المماليك لم تمتد على بلاد الشام إلا بعد موقعة عين جالوت، كما سبق أن رأينا ومنذ تلك السنة أصبحت المتاعب التي صادفها سلاطين المماليك في بلاد الشام لا تأتي من جانب الأيوبيين والتتار والصليبيين فحسب، بل من جانب أمراء المماليك أنفسهم بالشام، ومن ذلك أن الأمير علم الدين سنجر الحلبي (ت: ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م) نائب قطز على دمشق ثار في وجه السلطان الظاهر بيبرس

(٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) بعد شهر واحد من تواليه السلطنة ، ولكن أخمد حركته (١٣٠).

ولمَّا اعتلى المنصور قلاوون دفة السلطنة سنة (٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م) خرج عليه شمس الدين سنقر الأشقر (ت: ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م)، نائب الشام وامتنع عن مبايعته، وفي أثناء النزاع بين السلطان قلاوون لم يرَ الأخير حرجاً في الاتصال

بالتتار وتحريضهم على مهاجمة بلاد الشام^(١٣١)، وحدث سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م) والسلطان قلاوون مشغول بمحاربة الصليبيين أن دبّر الأمير سيف الدين كوندك^(١٣٢)، وجماعة من الأمراء الظاهرية وبعض التتار مؤامراً لاغتيال السلطان، ولم يتردّد المتآمرون في الاتصال بالصليبيين، ولكن المنصور قلاوون علم بالمؤامرة في الوقت المناسب فأحبطها وأعدم زعمائها^(١٣٣)، وحدث في عهد السلطان الصالح بن قلاوون (٧٥٢-٧٥٥هـ/١٣٥١-١٣٥٤م) أن خرج عن طاعته معظم نواب الشام مثل نائب حلب ونائب طرابلس ونائب حماه وغيرهم، وبذلك لم يبقَ على طاعة السلطان سوى أرغوان الكامل^(١٣٤) (ت: ٧٥٨هـ/١٣٥٦م) نائب دمشق.

واستمرت بلاد الشام في عصر دولة المماليك الجركسية أيضاً مسرحاً لكثير من الثورات والحركات التي قام بها بعض الأمراء ضد السلطنة ففي الأحداث التي أدت إلى انتقال الحكم من المماليك البحرية إلى المماليك الجراكسة نسمع كيف ثار الأمير طشتمر الدوادر (ت: ٧٨٦هـ/١٣٨٤م) ^(١٣٥)، نائب دمشق^(١٣٦)، ثم كان نجاح برقوق في القضاء على السلطنة الترك وإقامه دعائم دولة المماليك الجركسية سنة (٧٨٤هـ/١٣٨٢م) لجعل بلاد الشام مسرحاً جديداً للنزاع بين المماليك الترك، والجراكسة وهو في الحقيقة الأمر صراع حول السلطنة^(١٣٧).

ولم يلبث الأمير يلغا الناصري^(١٣٨)، أن أعلن ثورته علناً على السلطان في حلب، فاستمال منطاش^(١٣٩) إليه، وسيطر على شمال الشام، وفي ذلك الوقت جاءت الأخبار إلى سلطان برقوق من دمشق أن بعض الأمراء الترك في الشام هاجموا طرابلس، وقتلوا من فيها من أمراء مواليين لبرقوق^(١٤٠)، ولم تكد تنتهي سنة (٧٩٢هـ/١٣٨٩م) حتّى كان معظم نيابات الشام، فيما عدا دمشق وبعلبك والكرك، قد دخلت في طاعة يلغا الناصري^(١٤١)، وبعد صراع مرير استطاع برقوق في توطيد نفوذ بالشام، وإن كان ذلك لم يتم إلّا بعد أن غدت بلاد الشام

مسرحاً لصراع مرير بين يلغا الناصري ومنطاش سنة (٧٩٤هـ/١٣٩١م) ممّا أثر تأثيراً سيئاً في أوضاعها الاقتصادي^(١٤٢).

وهكذا ظلّت بلاد الشام مسرحاً لكثير من الفتن والمؤامرات والثورات طوال عصر المماليك البحريّة والجركسيّة واستعمل السلاطين أبشع أنواع الاضطهاد ضد المتأمرين فقد كانوا دمويين بمعنى الكلمة فبدراصة تراجم أربعة وسبعين نائباً لنيابة دمشق في عصر المماليك بشقيها البحريّ والبرجيّ، يتبيّن أنّ تسعة وعشرين منهم خرجوا عن السلطنة وأعلنوا الثورة، واستطاع اثنان منهم - هما لاجين وشيخ - أن يصلوا إلى السلطنة، وتمكّن اثنان من الهرب إلى خارج الدولة، وحصل خمس على عفوا السلاطين، وسجن خمسة، ثمّ أفرج عنهم في حين أعدم خمسة عشر^(١٤٣)، ولقد ساهمت هذه الثورات والمؤامرات والفتن في إضعاف قدرات المماليك الاقتصادية والعسكريّة الأمر الذي جعل منهم فريسة سهلة للعثمانيين.

د - كثيراً ما كانت تشتعل الثورات المفاجئة في العاصمة القاهرة، ولم تلبث أن تمتدّ أحياناً إلى بعض أنحاء البلاد والمدن الكبرى فتحوّل تلك الصورة الهادئة التي اتّصفت بها معظم المدن المصرية إلى صورة مضطربة قائمة^(١٤٤)، ومعظم الثورات والفتن كان مصدرها المماليك أنفسهم، ولا شك في أنّ عدم وجود قاعدة معينة ثابتة لاختيار السلاطين في عصر المماليك، وتطلّع كبار الأمراء دائماً للوصول إلى منصب السلطنة أدّى إلى كثير من الفتن والثورات والاضطرابات التي شهدتها الدولتين؛ لذا فإنّنا نستطيع أن نقرر أنّ معظم القلاقل والفتن التي شهدتها عصر المماليك في مصر والشام إنّما كان مصدرها رغبة الطامحين من الأمراء في الوصول إلى قمة الهرم المملوكي الكبير، واحتلال دفّة السلطنة، وكان يكفي أن يرفع ب وفاة سلطان، أو مرضة، أو هزيمة جنود حتّى تضطرب أحوال البلاد^(١٤٥).

وخلاصة القول إنّ السياسة الداخليّة للدولتين البحريّة والجركسيّة تميزه بتغلب العناصر الوجدانية متمثلةً بجهود سلاطين الدولتين بالتصدي للحركات والثورات المناوئة لحكمهم بالتصديّ للثورات التي عصفت ببلاد الشام ومصر، ثمّ يبرز عنصر آخر من عناصر الوحدة بين الدولتين في هذا الشأن وهي أنّ معظم الثورات والفتن السياسية التي شهدتها البلاد في عصر المماليك بشقيها البحريّة والجركسيّة كان مصدرها طوائف المماليك أنفسهم، لا اعتقادهم بالنظرية القائلة: إنّ جميع المماليك لهم حقّ مشروع في السلطنة مهما قلّ رتبته أو صغر شأنهم، والجميع كانوا يتطلّعون إلى اليوم الذي يستأثرون بالسلطنة.

بالمقابل نجد أنّ عنصر التنوع والاختلاف في السياسة الداخليّة لكلا الدولتين يكمن في بروز المعارضة الأيوبيّة المناوئة لحكم المماليك البحريّة في بلاد الشام، حين لا نجد لها أثراً في دولة الجركسيّة؛ لأنّ السلطان الظاهر بيبرس قد تخلّص من الأيوبيين المناوئين لحكم المماليك البحريّة وأنهى الزعامة الأيوبيّة تماماً على بلاد الشام بعد أن كانت انتهت في الديار المصريّة.

٢- السياسة الخارجيّة :

استطاعت دولة المماليك التي قامت في مصر والشام أن تثبت أنّها دولة مترامية الأطراف، وأنّها أعظم قوة في العالم الإسلامي آنذاك، فنظر إليها حكام الدولة الإسلاميّة وشعوبها نظرة إكبار وإجلال، في حين نظر إليها القوي خارج المحيط الإسلامي نظرة خوف واحترام وحسب دولة المماليك أنّها استطاعت أن تواجه الأخطار الخارجيّة التي هدّدت المشرق الإسلاميّ في شجاعة وبأس فحمت الشام ومصر من خطر التتار المغول ونشر الإسلام بين المغول القفقاق (القبيلة الذهبية)، وعقدوا معها الاتفاقيات السلميّة، وطردت الصليبيين كليّاً من أرض الشام بل لاحتهم في مراكزهم القريبة مثل: أرمينية الصغرى، وقبرص، وروُدس، فضلاً عن الحروب الدبلوماسية وهي الاتفاقيات السلميّة التي وقعوها مع البيزنطيين ومع دول مدن إيطاليا، وجزر البحر المتوسط، وذلك ردّاً على

محاولات المغول في تشكيل حلف هجومي مغولي صليبي ضد المماليك، ولولا هذه المعاهدات التي أبرمت في الوقت المناسب لأطبق المغول والصليبيين على المسلمين^(١٤٦)، وهكذا فإن دولة المماليك ولاسيما البحرية لم تكن دولة ضعيفة في مواجهة الأخطار الخارجية، وتوطيد العلاقات مع القوى السياسية في العالم التي أطلت برأسها منذ تأسيس دولتهم التي بلغت الذروة على عهد السلطان الناصر محمد الذي مد النفوذ الخارجي لسلطان مصر امتداداً واسعاً فكان هو يعين أشرف مكة، وأرسل محمد بن تغلق سلطان الهند الإسلامية سنة (٧٣١هـ/١٣٣١م) بعثتين إلى السلطان الناصر للحصول على مساعدته ضد المغول الذين اشتدت غاراتهم حينئذ على الهند ولم ينقطع على بلاط الناصر محمد سفراء الدولة البيزنطية طالبين مساعدته ضد التركمان الذين أخذ نفوذهم يزداد في آسيا الصغرى وكل هذا هو معنى قول المؤرخ ابن إياس: ((أن الناصر محمد بن قلاوون خطب له في أماكن لم يخطب فيها لأحد من الملوك وكاتبه سائر الملوك وهادوه وهابوه))^(١٤٧).

وهكذا غدت العاصمة القاهرة في عصر سلاطين المماليك البحرية والجركسية قبلة الأصدقاء والأعداء جميعاً، فالأصدقاء يطلبون تأييدها، وينشدون مساعدتها، والأعداء يبعون ملاطفها ومسالمتها، أو مهادنتها اتفاقاً لبطشها، وبين هذا وذاك من التيارات السياسية ظهر تيار التجارة والمال أشد ما يكون قوة وانطلاقاً في ذلك العصر؛ ليجعل التجارة والسفراء يترددون على مصر بين الفينة والأخرى، ويبعون عقد اتفاقية تجارية أو إلغاء مكس، وبذلك شهدت القاهرة نشاطاً دبلوماسياً ضخماً في عصر المماليك، وصارت مركزاً لشبكة واسعة من العلاقات الخارجية مع الدول الصديقة وغير الصديقة، ولا نبالغ إذا قلنا: إن ديوان الإنشاء^(١٤٨) في عصر المماليك بجناحيها البحرية والجركسية، غدا يمثل أضخم وزارة خارجية شهدها العالم أجمع في ذلك العصر^(١٤٩).

إذاً وبعد أن قمنا بعرض للركائز الأساسية الخارجية للدولتين، إذ يضيق بنا المقام عن تتبع علاقات الممالك مع القوى السياسية في المشرق والمغرب الإسلامي، وماهية هذه العلاقات بصورة دقيقة وتفصيلية، يتضح أنّ عناصر الوحدة في السياسة الخارجية للدولتين البحرية، والجركسية تتلخص في ثلاثة محاور: الدفاع عن أرض الإسلام في مواجهة الأعداء المتربصين، متمثلة بجهود سلاطين الدولتين في التصدي للمغول التتار والصليبيين وكبح جماحهم، وإجلاتهم عن مصر والشام، فضلاً عن نشر الإسلام في بيئات جديدة، كشره بين المغول القفجاق (القبيلة الذهبية) بعد أن اعتنق رئيسهم بركة خان الإسلام، الأمر الذي ترتب عليه ازدياد أواصر التقارب والصداقة بين المغول القفجاق والقوى الإسلامية المجاورة ولاسيما دولة الممالك من ناحية، وازدياد العداء والتنافس بين المغول القفجاق المسلمين وبقية طوائف المغول الوثنيين ولاسيما مغول فارس من ناحية أخرى، والمحور الثالث: هو إضافة معطيات جديدة إلى بيئة الحضارة الإسلامية لا غنائها بالمزيد من المعطيات، وتجسدت بتشجيع أغلب سلاطين ممالك الدولتين للعلم والعلماء وعقد المجالس العلمية الدينية، وقد وصف ابن تغري بردي السلطان الظاهر بيبرس أنه: ((كان يميل إلى التاريخ وأهله ميلاً زائداً ويقول سماع التاريخ أعظم من التجارب))^(١٥٠)، وهكذا عاد الجامع الأزهر في عهد الممالك إلى سابق عهده قسبة لطلاب العلم في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وسار على هذا المنهج معظم سلاطين الدولتين حتى صارت مدن مصر والشام من أبرز المراكز الحضارية في العالم آنذاك.

الخاتمة: بعد هذا العرض لعناصر الوحدة والتنوع بين دولتي الممالك البحرية والجركسية وبعد الوقوف على الجوانب السياسية لهذه العناصر نصل إلى تقديم أهم النتائج التي توصل إليها البحث في هذين الجانبين من عناصر وحدوية وتنوعية بين الدولتين وكما يأتي:

١- نشأة كلا الدولتين في بيئة عربية واحدة، على الرغم من أن سلاطين الدولتين كانوا غير عرب وكان موطنهم الأصلي مناطق القفجاق، والبحر الاسود وكانوا من المماليك البيض و جلبوا عن طريق التجار إلى أسواق النخاسة في مصر وبلاد الشام، إلا أن كونهم عاشوا في بيئة إسلامية واعتنقوا الدين الإسلامي، فحال تسلمهم السلطنة سعوا إلى إحياء الخلافة العباسية؛ لإعطاء الصفة الشرعية لحكمهم، على الرغم من أن سلطة الخليفة أصبحت إسمية، فعنصر الوحدة في علاقة سلاطين الدولتين بالخليفة العباسي تتمثل في كون الخليفة العباسي في القاهرة لم يكن إلا مظهرًا خداعًا لا يُعدّ إلا ذرا للرماد في العيون حتى يقضوا على رغبات الطامعين في ملك مصر والشام .

٢- الوحدة في قوة شخصية مؤسسي الدولتين: السلطان الظاهر بيبرس الذي يُعدّ المؤسس الحقيقي للدولة المماليك لما قام به من انجازات التي تمثلت بإلحاق الهزيمة بالصليبيين، وإنهاء الاحتلال الصليبي في بلاد الشام، وسحق المغول في موقعة عين جالوت، وإعادة الوحدة بين مصر وبلاد الشام- إذ كان بلاد الشام خط دفاع بالنسبة للمماليك ومسرح حروبهم- ومد نفوذ دولته خارج البلاد المصرية والشامية، ويقابله قوة شخصية السلطان برقوق الجركسي الذي أسس دولة المماليك الجركسية في مصر وبلاد الشام، وقام بإسقاط دولة المماليك البحرية، وجهاز الجيوش لمحاربة التتار الذين حاول احتلال بلاد الشام، ولا يقتصر عنصر الوحدة على شخصية مؤسس الدولتين، وإنما تجاوز ذلك في عدد سلاطين الدولتين الذين تولوا دفة السلطنة والتقارب في عمر الدولتين.

٣- التنوع في نسب سلاطين الدولتين فالمماليك البحرية كانوا من الأتراك في حين كان المماليك البرجية من الجراكسة .

٤- اعتمدت النظرية السياسية للحكم المملوكي على الصبغة الدينية للحكم، وذلك بتحالف المماليك مع علماء الدين الإسلامي، وإظهارهم التمسك بالدين، وبالأماكن

المقدسة، والاهتمام بالعلم والعلماء، وتشجيعهم واستقطابهم للعلماء، والإكثار من الأبنية التعليمية والدينية

٥- عرف سلاطين الدولتين بالتقوى والإيمان والعدل في المرحلة الأولى من قيام دولتهم ولكن حدث التغير في المراحل الأخير في حكمهم إذ اشتد الانحلال الخلقي واشتهر سلاطين ذلك العهد بالإدمان في شرب الخمر، والاخلال بالصلوات وعاشوا حياة المجون .

٦- الوحدة في قيام الدولتين، متمثلة بطماح أمراء الدولتين في قيادة دفة الحكم بعد توافر العوامل المساعدة لذلك، فضلاً عن اعتراض الخليفة العباسي في بغداد أن يتولى الحكم امرأة في الدولة البحرية ويقابله رغبة الخليفة العباسي وإصراره في القاهرة في تولي الحكم رجلاً قوياً بعد أن آل الحكم سلاطين صغار، علاوة عن الجهات التي ساندت الدولتين في القيام وهما: الأكراد بالنسبة للبحرية، والأتراك للجركسية

٧- التنوع في بعض العوامل التي مهدت لإقامة الدولتين ومتمثلة بالهجمات الضاربة التي شنّها الغرب الصليبي، وغزوات المغول الوثنيين الذين داهموا بلاد الشام، وتصدي المماليك البحرية للقوتين، وأحقا الهزيمة بهما، بالمقابل لا يوجد عامل خارجي أسهم في قيام دولة المماليك الجركسية لأنها تمثل امتداداً واستمراراً للدولة المملوكية البحرية .

٨. عنصر الوحدة في بعض العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في سقوط الدولتين متمثلة بتولي سلاطين ضعفاء في الحقبة الأخيرة من عمر الدولتين، واستشراف الفساد في دوائر الدولة المملوكية، وانتشار الظلم، والاحتلال، وكثرة الضرائب والمكوس، واستشراف الفساد في النظام الإداري خاصة بعد أن كان صمام قوة الدولة المملوكية، ناهيك عن التدهور الاقتصادي، إذ كانت قوة المماليك الاقتصادية وسيلة كبيرة للاحتفاظ بالسلطة، هذا بالنسبة للعوامل الداخلية،

وبالمقابل كانت للحملات الصليبيّة الموجهة ضد الدولتين، وضرب تجارتها من العوامل الخارجيّة الرئيسة التي عجّلت سقوطهما.

٩ - التنوع في بعض العوامل الخارجيّة التي أسهمت في سقوط الدولتين فدولة المماليك البحريّة قد سقطت على يد غريمتها الدولة الجركسيّة، في حين نجد الأخيرة سقطت على أيدي الدولة العثمانيّة، وبسقوطها انتهت سلطنة المماليك لتظل مصر والشام بضعة قرون تحت الحكم العثماني، وتعدّ هذه الحالة قمة الوحدة السياسيّة الإيجابيّة وتنوعها في الدولة الإسلاميّة؛ لأنّ العثمانيين جاءوا بالوقت المناسب بعد أن استنفذ المماليك طاقتهم وقدراتهم بسبب الصراعات الداخليّة بين السلاطين وضرب تجارتهم بعد اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح، فجاء العثمانيون بقدراتهم الشابّة وتسلموا السلطة وحملوا وحدة الأراضي الإسلاميّة من التفكك وجابهوا التحديات الأوربيّة .

١٠ - الوحدة في بعض جوانب السياسة الداخليّة لكلا الدولتين التي تمثّلت بجهود سلاطين الدولتين بالتصدّي للحركات والثورات المناوئة لحكمهم، على الرغم من أنّ معظم الثورات والفتن السياسيّة التي شهدتها البلاد في عصر الدولتين كان مصدرها طوائف المماليك أنفسهم؛ لاعتقاد المماليك أنّهم جميعاً متساوون ولهم حق مشروع في السلطنة فطبيعة المماليك من حيث الأصل والتربية والنشأة جعلهم يشعرون بالمساواة فيما بينهم، فجميعهم كانوا رقيقاً جيء بهم من بلاد بعيدة وتمت تربيتهم وتدريبوا حتّى ظهرُوا على سطح الأحداث، وهذا الإحساس بالمساواة انعكس على نظام الحكم طوال عصر المماليك، فأمن كلّ واحد منهم أن له حقاً في تولّي منصب السلطنة، وهذا ما دفعهم لإنكار مبدأ الوراثة.

١١ - التنوع في بعض جوانب السياسة الداخليّة لكلا الدولتين الذي يكمن من بروز المعارضة الأيوبيّة المناوئة لحكم المماليك البحريّة في بلاد الشام في حين لا نجد لها أثراً في الدولة الجركسيّة؛ لأنّ السلطان الظاهر بيبرس قد تخلص من

الأيوبيين المناوئين لحكم المماليك البحريّة، وأنهى الزعامة الأيوبيّة تماماً على بلاد الشام بعد أن كانت انتهت في الديار المصريّة .

١٢- الوحدة في السياسة الخارجيّة لكلا الدولتين: إذ اعتمدوا أسلوب (إنَّ عدُوّ عدوك صديقك)، فاتفقوا مع البيزنطيين، والقبيلة الذهبية من التتار، واجروا اتفاقات مع دول ومدن ايطاليا وجزر البحر المتوسط، وهو ما يفسّر سبب طول أمد سيادة الدولة المملوكيّة، إذ اعتمدت السياسة الخارجيّة للحكم المملوكي على ثلاثة محاور رئيسة، وهي الدفاع عن أرض الإسلام ونشره في بيئات جديدة، وإضافة معطيات حضاريّة جديدة إلى بيئة الحضارة الإسلاميّة؛ لإغنائها .

الهوامش:

- (١). ابن عبد الظاهر ، محي الدين عبدالله ، (ت - ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) :
تشریف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق : مراد كامل ،
مراجعة : محمد علي النجار ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ط ١ ،
القاهرة ، (١٩٦١) ، ص ٣٥ .
- (٢). ابن عبد الظاهر : تشریف، ص ٣٦؛ بول استانلي لين : طبقات سلاطين
الاسلام ، تحقيق : علي البصري ، ترجمة : مكي كعبي ، دار منشورات
البصري (د - م ، ١٩٦٨) ، ص ٦٧
- (٣). اليونيني ، موسى بن محمد بن احمد ، (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) : ذيل
مرآة الزمان ، مطبعة مجلس المعارف العثمانية ، بحيدر آباد - الدكن ، ط ١
(الهند ، ١٩٥٤) ج ١ ، ص ١٨٦ .
- (٤). ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، (ت ٨٧٤ هـ /
١٤٦٩ م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصريّة
العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، نسخة مصورة عن طبعة دار
الكتب ، (القاهرة ، ١٩٦٣) ، ج ٦ ، ص ٣١٩ .

- (٥). المقريري ، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٤١) ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٢٧٠ .
- (٦). الخوارزمية : هم بقايا جيش جلال الدين خوارزم شاه ، وبعد مقتله عام (٦٢٨ هـ / ١٢٢٣ م) اخذو يعملون كمرتزقة في خدمة الملوك المتنازعين في المنطقة . للمزيد، ينظر : العبود نافع توفيق : الدولة الخوارزمية ، مطبعة بغداد (بغداد ، ١٩٧٨ م) ، ص ١٦٧ - ١٨٠ .
- (٧). ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل بن علي (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) : المختصر في اخبار البشر ، المطبعة الحسينية المصرية ، ط ١ ، (القاهرة ، ١٣٣٥ هـ) ، ج ٣ ، ص ١٨٨ : احسان عباس : تاريخ بلاد الشام في عصر المماليك (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م) ، مطبعة الجامعة الاردنية (عمان ، ١٩٩٨ م) ، ص ١٩١ .
- (٨). سعيد عبدالفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، ط ٢ (القاهرة ، ١٩٧٦) ، ص ٥ : انور زقلمة ، المماليك في مصر ، مطبعة المجلة الجديد ، (القاهرة ، دت) ، ص ١٦ .
- (٩). عبدالعزيز عبدالله الخويطر : المماليك في مصر ، دن ، (القاهرة ، ١٩٦٨) ، ص ١٦ .
- (١٠). ابن عبدالظاهر : تشريف ، ص ٣٧ ؛ توفيق اليوزبكي : تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المماليكي ، مؤسسة دار الكتب - جامعة الموصل ، (الموصل ، ١٩٧٥) ، ص ١٤ .
- (١١). المقريري ، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، المعروف بـ (الخطط المقريرية) ، دار العرفان ، (لبنان ، ١٩٥٩) ، مج ٣ ، ص ٩٣ ؛ احمد

- السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الاسرة الحاكمة في التاريخ ، دار المعارف المصرية ، (القاهرة ، ١٩٦٩) ج ١ ، ص ١٥٩ .
- (١٢). المنصورة : بلدة انشأتها الملك الكامل بن الملك العادل بن ايوب ، بين دمياط والقاهرة ، ياقوت الحموي ، ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م) : معجم البلدان ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٥٧) ، مج ٥ ، ص ٢١٢ : الحميري ، محمد بن عبدالمنعم (ت ٩٠٠ هـ / ١٤٩٥م) : الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق : احسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط ١ ، (بيروت ، ١٩٧٥) ، ص ٤٤٩ .
- (١٣). الفارسكور : وهي قرية من قرى مصر قرب دمياط من كورة الدقهلية. للمزيد ، ينظر ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج ٤ ، ص ٢٨٨ .
- (١٤). الذهبي ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م) : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام (حوادث ووفيات ٦٤١-٦٥٠ هـ) ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط ٢ (بيروت ، ٢٠٠٢) ، ص ٢٦٧ ؛ ابن اياس ، محمد بن احمد (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٣٣م) : تاريخ مصر المشهور بـ (بدائع الزهور في وقائع الدهور) ، مطبعة الاميرية (القاهرة ، ١٨٩٤) ، ج ١ ، ص ٧٩ .
- (١٥). ابو شامة ، شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل (ت ٦٥٥ هـ / ١٢٦٦م) : تراجم القرنين السادس والسابع المعروف بـ (الذيل على الروضتين) ، تعليق : ابراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٢) ، مج ٣ ، ص ٣١١ ؛ عماد عبد السلام رؤوف : معركة عين جالوت ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٨٦) ، ص ٥٣ .
- (١٦). المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٣٦٨ ؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ن ج ٧ ، ص ٧ .

(١٧). المقرئزي ، السلوك ، ج ١ ، مج ٣ ، ص ٣٢٢ ، عماد عبدالسلام رؤوف:

معركة عين جالوت ، ص ٥٣

(١٨). شجرة الدر : وهي من جوارى الملك الصالح نجم الدين ايوب اعتقها

وتزوج بها وقد ولدت منه ابنها خليل الذي مات صغيراً وهي بالاصل تركية

الجنس وقيل ارمينيا . للمزيد، ينظر ، المقرئزي ، السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ،

ص ٣٦١ ، سلمى الحضارة الكزبري : نساء متفوقات ، دار العلم للملايين ،

ط١ ، (بيروت ، ١٩٦١) ، ص ٢٤٠ .

(١٩). ابن العبري ، غريغوريس ابو الفرج بن اهرؤب (ت ٦٨٥هـ /

١٢٨٦م) : تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية ، ط٢ ، (بيروت ،

١٩٥٨) ، ص ٢٦٠

(٢٠). المقرئزي ، المواعظ والاعتبار ، مج ٢ ، ص ٢٣٦ ؛ محمد جمال الدين

سرور : دولة بني قلاوون في مصر ، دار الفكر العربي (القاهرة ، ١٩٤٧) ،

ص ١٠ ؛ احمد حسين: موسوعة تاريخ مصر ، دار الشعب للطباعة والنشر ، (

القاهرة ، ١٩٧٩) ، ج ٢ ، ص ٦٧٧ .

(٢١). للمزيد عن سلاطين دولة المماليك البحريّة وسنوات حكمهم، ينظر، ابن

تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٢٢١؛ سعيد عبدالفتاح عاشور:

مصر في عصر دولة المماليك البحريّة ، مكتبة النهضة المصرية ، (

القاهرة، ١٩٥٩)، ص ٥؛ استانلي لين بول: طبقات سلاطين الاسلام، تحقيق:

علي البصري، ترجمة: مكي الكعبي، دار منشورات البصري (د-م، ١٩٦٨)

ص ٨٠-٨١؛ احمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الاسلامية، ج ١ ،

ص ١٦٢؛ زامباور ادوارد فون : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في

تاريخ الإسلامي ، ترجمة : سيدة اسماعيل كاشف (وآخرون) ، أخرجه :

زكي محمد حسن بك (وآخرون) ، دار الرائد العربي (بيروت ، ١٩٨٠)

، ص ١٦٢-١٦٣ .

- (٢٢). القلقشندي ، احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ٤١٨ م) : صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، شرح وتعليق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٧) ح١، ص٤٢٠-٤٢١؛ السيد الباز العريني : الماليك، دار النهضة العربية، (بيروت، ١٩٦٧)، ص ٦٣ .
- (٢٣). المقرئزي : المواعظ والاعتبار ، مج ٢ ، ص ٢٤١ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٣٣٠ ؛ فليب حتي : تاريخ العرب المطول ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، ط ٢ ، (بيروت ، ١٩٥٣) ج ٣، ص ٧٩٥ .
- (٢٤). المقرئزي :المواعظ والاعتبار ، مج ٢، ص ٢٤١ .
- (٢٥). القرمانى، احمد بن يوسف بن احمد(ت: ١٩٠١ هـ / ١٦١٠ م):اخبار الدول واثار الاول في التاريخ، عالم الكتب(بيروت، ١٩٨٢م)، ص ١٩٧؛ سعيد عبدالفتاح عاشور ، عصر ، ص ١٤٢ .
- (٢٦). محمود شاكر : التاريخ الاسلامي - العهد المملوكي ، المكتب الاسلامي ، ط ٥ (بيروت ، ٢٠٠٠) ، ج ٧ ، ص ٧٠ .
- (٢٧). للمزيد عن سلاطين دولة الماليك الجركسية وسنوات حكمهم. ينظر، استانلي لين بول: طبقات سلاطين الاسلام ، ص ٨١-٨٢؛ احمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الاسلامية، ج ١، ص ١٦٣؛ زامباور ادوارد فون : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ص ١٦٣-١٦٤ .
- (٢٨). شاكر محمود : التاريخ الاسلامي، ج ٧، ص ٧١ .
- (٢٩). فليب حتي : تاريخ العرب ، ج ٣ ، ص ٨١٩ .
- (٣٠). الريدانية : وهي معركة التي دارت خراج القاهرة بين الماليك بقيادة طومان باي الثاني (٩٢٢-٩٢٣ هـ / ١٥١٦-١٥١٧ م) وبين العثمانيين بقيادة سليم الاول (٩١٨-٩٢٦ هـ / ١٥١٢-١٥٢٠ م) وانتهت بهزيمة الماليك ودخول العثمانيين مصر ، وهروب طومان باي ثم اللقاء القيص عليه وقتله في سنة (

- ٩٢٣هـ/١٥١٧م). للمزيد، ينظر، ابن اياس : بدائع، ج١، ١٠١، ٣؛ سعيد عبدالفتاح عاشور ،: مصر والشام في عصر الايوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية ، (بيروت ، ١٩٧٢) ، ص٢٦٢ .
- (٣١). جرجي زيدان : تاريخ مصر الحديث ، دار الهلال ، ط٣ (القاهرة ، ١٩٢٥) ، ج١ ، ص٣٧٢-٣٨١ .
- (٣٢). السيد الباز العريني : المماليك، ص٦٧-٦٨ .
- (٣٣). المقرئزي : السلوك ، ج٣ ، ق٢ ، ص٤٧٦ :
- (٣٤). ابن عبد الظاهر، محي الدين عبدالله (ت - ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م) :
الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق ، عبدالعزيز الخويطر ، دن (الرياض ، ١٩٧٦) ، ص٩٩-١٠٠ .
- (٣٥). حسن الباشا : الالقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والاثار ، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة ، ١٩٥٧) ، ص١٠٢ .
- (٣٦). العيني، بدر الدين محمود بن احمد (ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م):السيف المهند في سيرة الملك المؤيد(شيخ المحمودي)، تحقيق :فهم محمد شلتوت، دار الكتاب العربي(القاهرة، ١٩٦٦م)، ص٣٠٥
- (٣٧). الصيرفي، الخطيب الجوهري علي بن داؤد(ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٥م):نزهة النفوس ولابدان في تواريخ الزمان، تحقيق:حسن حبشي، دار الكتب(القاهرة، ١٩٧٠م)، ص٤٥؛ مفيد الزيدي ، : موسوعة التاريخ الإسلامي العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣ هـ / ١٢٥٨-١٥١٧م)، دار اسامة للنشر والتوزيع ، (عمان ، ٢٠٠٣) ، ص١٠٨ .
- (٣٨). البندقدار : لقب يطلق على الذي يحمل جرواة البندق خلف السلطان ، والبندق عبارة عن كرات تستخدم في اثناء صيد الطيور . للمزيد، ينظر، القلقشندي ، احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م) : صبح الاعشى في

- صناعة الانشاء ، شرح وتعليق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٧) ج ٥ ، ص ٤٣١ .
- (٣٩). ابن أبيك الدواري ، أبو بكر بن عبد الله (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٤ م) : كنز الدرر وجامع الغرر ، تحقيق : أولرخ هارمان ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، (القاهرة ، ١٩٧١) ، ج ٨ ، ص ٦٣ ؛ ابن كثير ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢ م) : البداية والنهاية في التأريخ ، دار ابن كثير ، (بيروت ، ١٩٦٧) ، ج ١٣ ، ص ٢٢٣ .
- (٤٠). الصيرفي: نزهة النفوس والابدان، ص ٣٣-٣٤؛ سعيد عبدالفتاح عاشور: الظاهر ببيرس ، المؤسسة العربية للتأليف والترجمة والطبع والنشر (القاهرة، ١٩٦٣)، ص ١٩-٢٠ .
- (٤١). الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ / ١٣١٨ م) : جامع التواريخ ، ترجمة ، محمد صادق نشأت (وآخرون) ، دار إحياء الكتب العربية ، (القاهرة ، ١٩٦٠) ، مج ٢ ، ج ١ ، ص ٣١٣ ؛ المنصوري ، ركن الدين ببيرس (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٤ م) : زبدة الفكرة في تأريخ الهجرة ، تحقيق : دونالد رينشارد ، الشركة العربية المتحدة للتوزيع ، ط ١ ، (بيروت ، ١٩٩٨) ، ج ٤٢ ، ص ٥١ ..
- (٤٢). القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٣ ، ص ٤٩٨ ؛ السيد الباز العريني : المماليك ، ص ٥٠-٥١ .
- (٤٣). الاسماعيلية: نسبة الى اسماعيل ابن الامام جعفر الصادق(ت: ١٤٣هـ/٤٦٠م)، وهي من الفرق الدينية التي ظهرت في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة / الثامن وكان من ابرز دعايتها عبدالله بن ميمون القداح، وتأثرت برنامج الحركة الفكرية ، بحركات الغلاة التي كانت ناشطة

انذاك، وأنكرت الإسماعيلية موت إسماعيل في حياة أبيه، وقالوا كان ذلك على جهة التلبيس، لأنه خاف فغيبه عنهم. ، للمزيد، ينظر، النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد : فرق الشيعة، تحقيق: عبد المنعم الحنفي، دار الرشيد، (القاهرة، د. ت)، ص٧٨؛ القمي، سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري: المقالات والفرق، صححه وقدم له وعلق عليه: الدكتور محمد جواد مشكور، مطبعة الحيدري، (طهران، ١٩٦٣م)، ص٧٩-٨١؛ الإسفرائيني، عبد القاهر بن طاهر بن محمد: الفرق بين الفرق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، (القاهرة، د. ت)، ص٨١؛ محمد سعيد جمال الدين: دولة الإسماعيلية في إيران، الدار الثقافية للنشر، ط١، (بيروت، ١٩٩٩م)، ص٢٩.

(٤٤). المقرئزي: السلوك، ج١، ق١، ٦٠٨.

(٤٥). محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي، المطبعة الأنموذجية، (القاهرة، ١٩٦٢)، مج١، ق١، ج١، ص٢٨.

(٤٦). سعيد عبدالفتاح عاشور: مصر والشام، ص٢٠٣.

(٤٧). المقرئزي: السلوك، ج٣، ص٤٧٧؛ سعيد عبدالفتاح عاشور: مصر، ص١٥١-١٥٢.

(٤٨). المقرئزي: المواعظ والاعتبار، مج٢، ص٢١٤.

(٤٩). ابن تغزي بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٢٤.

(٥٠). أبو الفداء: المختصر، ج٤، ص٢٤-٢٧.

(٥١). مرج راهط: المرج الأرض الواسعة الكثير النباتات وراهم موضع في غوطة دمشق. للمزيد، ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٣، ص٢١.

(٥٢). ابن تغزي بردي: النجوم الزاهرة، ج٨، ص١٧٦.

(٥٣). محمد صالح داؤد القزار : الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة

المغولية ، مطبعة القضاء ، (النجف ، ١٩٧٠) ، ص٤١٤-٤١

(٥٤). تيمورلنك: هو حفيد قراشور تويان وزير جغتاي الابن الثاني لجنكيزخان

، أطلق عليه اسم تيمور جوركان ومعناه صهر الملك) كما أن معنى اسم

تيمور باللغة التركية (الحديد)، أصيب تيمور بسهم في فخذه أثناء عملية سرقة

الانعام، وصار يعرج من أثر ذلك فأضيف الى اسمه كلمة (لنك) ومعناها

الاعرج، فأضحى اسمه تيمورلنك. للمزيد ينظر، ابن عربشاه، أبو محمد

أحمد بن محمد، عجائب المقدور في أخبار تيمور، د-ن، (كلكتا،

١٨١٧م)، ص٦٦-٧٤؛ عباس إقبال. تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية

الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (١٢٠٥/٨٢٠م

١٣٤٣/١٩٢٥م)، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه: محمد علاء الدين

منصور، دار الثقافة والنشر والتوزيع، (القاهرة، ١٩٨٩)، ص٥٩٨-٦٠٠.

(٥٥). البيرة : في عدة مواضع منها بلدة قرب سميساط بين حلب والثغور

الرومية وهناك أيضاً البيرة : وهي قلعة حصينة بين بيت المقدس ونابلس

أيضاً في الاندلس ، ينظر ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج ١، ص٢١٥

(٥٦). المقرئزي: السلوك، ج٣، ص٤٧٧.

(٥٧). ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٧ ..

(٥٨). مفيد الزبيدي ، : موسوعة ، ص ٣٠٠-٣٠١ .

(٥٩). قاسم عبده قاسم : نظم الحكم والإدارة في عصر الايوبيين والمماليك ،

موسوعة الحضارة العربية الإسلامية ، دار الفارس للنشر والتوزيع ، ط ١ ،

(بيروت ، ١٩٩٥) ، ص ٣٣٥ .

(٦٠). المقرئزي: السلوك ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٢٩٥ .

(٦١). ابن عبد الظاهر : تشريف، ص ٣٦ ؛ سعيد عبدالفتاح عاشور : العصر

، ص ١١ .

- (٦٢). المقريري : السلوك ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٢١٤ .
- (٦٣). ابن العبري : تاريخ مختصر ، ص ٢٦٠ .
- (٦٤). المقريري : السلوك ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٢١٤ .
- (٦٥). محمد سهيل طقوش : تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ، دار النفائس ، ط ٢ ، (بيروت ، ١٩٩٩) ، ص ٣٢٨ .
- (٦٦). ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٨ ، ص ١٦٠ .
- (٦٧). الحميات : مكس يفرضه السلطان أو الأمير على بعض الأراضي والمتاجر والمواكب والأرزاق ، وقد اطلق عليها هذا الاسم لقيام الأمير بحماية الشخص الذي يدفع ذلك المكس . للمزيد، ينظر ، حكيم أمين عبد السيد : قيام دولة المماليك الثانية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٦٦) ، ص ٢١ .
- (٦٨). المقريري : السلوك ، ج ١ ، ق ٢ ، ص ٨٧٥ .
- (٦٩). ابو الفداء : المختصر ، ج ٣ ، ص ١٨٣ .
- (٧٠). ايبك : لفظة تركية مركبة من كلمتين اي وتعني (القمر) وبك (امير) ومعناه ، امير القمر . ينظر ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ١٩ .
- (٧١). ابن العبري : تاريخ مختصر ، ص ٢٦٠ .
- (٧٢). توفيق اليوزبكي : تاريخ تجارة مصر ، ص ٢٤ .
- (٧٣). المقريري : السلوك ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٤٧٧ .
- (٧٤). ابن اياس : بدائع، ج ١ ، ص ٢٦٩ .
- (٧٥). محمد سهيل طقوش : تاريخ المماليك ، ص ١٧٥ .
- (٧٦). الذهبي : تاريخ الإسلام (احداث ووفيات ، ٦٤١-٦٥٠هـ) ، ص ٢٦٧ .
- (٧٧). اليونيني : ذيل ، ص ٣٦٠ .
- (٧٨). قاسم عبده قاسم: نظم الحكم ، ص ٢٨٢ .

- (٧٩). انطول خليل ضومط : الدولة المملوكية ، التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري ، دار الحداثة ، ط ١ ، (بيروت ، ١٩٨٠) ، ص ١١ .
- (٨٠). الاتابك : لقب تركي ظهر في أيام السلاجقة ، وهو مشتق من (اتا) بمعنى الوالد ، و(بك) يعني الامير اي (الوالد الامير) فكان يطلق على من يتولى تربية اولاد سلاطين السلاجقة اي انه يقوم بدور المؤدب للامير الصغير . للمزيد ، ينظر ، ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) : وفيات عيان وانباء الزمن ، تحقيق : احسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٧٧) ، ج ١ ، ص ٣٦٥ .
- (٨١). محمد سهيل طقوش : تاريخ المماليك ، ص ٣٠٠ .
- (٨٢). المقرئزي : السلوك : ج ٣ ، ق ١ ، ص ٤٧٥ ؛ محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون ، ص ٦٦ .
- (٨٣). سعيد عبدالفتاح عاشور : العصر ، ص ١٢٩ .
- (٨٤). علي ابراهيم حسن ، : تاريخ المماليك البحريّة ، مكتبة النهضة العربية (القاهرة ، ١٩٦٧) ، ص ١٢٤ .
- (٨٥). ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١١ ص ٢١٠ .
- (٨٦). ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي تحقيق : دكتور محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة ، دت) ، ج ٥ ، ص ٤٨-٤٩ ؛ طقوش : تاريخ المماليك ، ص ٣٠٥ .
- (٨٧). ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٧ ؛ سعيد عبدالفتاح عاشور : العصر ، ص ١٣٥ .
- (٨٨). المقرئزي : السلوك : ج ٣ ، ق ١ ، ص ٤٧٥ ؛ سعيد عبدالفتاح عاشور : العصر ، ص ١٣٥ .

- (٨٩). سعيد عبدالفتاح عاشور : العصر ، ص١٣٥-١٣٦ .
- (٩٠). المقريري : السلوك، ج ٣، ق ١، ص١٠٦-١٠٧.
- (٩١). السلوك ، ج ٣، ق ١ ن ١٠٨ ..
- (٩٢). ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣، ص ٢٣٢؛ طقوش : تاريخ الممالك ، ص ٥٥٥ .
- (٩٣). عمار محمد النهار: تاريخ الممالك، مطابع جامعة دمشق(دمشق، ٢٠١٤)، ص ٥٥٩.
- (٩٤). محمد سهيل طقوش : تاريخ الممالك ، ص ٥٥٦- ٥٥٧..
- (٩٥). ابن اياس : بدائع، ج ٢، ص ٣٤٣ .
- (٩٦). سعيد عبدالفتاح عاشور : العصر , ص ٣٣٧ .
- (٩٧). ابن ابيك الدواداري: كنز الددر، ج ٨، ص ٣٦٣-٣٦٤.
- (٩٨). محمد سهيل طقوش : تاريخ الممالك ، ص ٥٥٩ .
- (٩٩). ابن تغري بردي : النجم الزاهر , ج ٩، ص ٩٣ .
- (١٠٠). محمد سهيل طقوش : تاريخ الممالك ، ص ٥٥٩ .
- (١٠١). مفيد الزيدي : موسوعة ، ص ٣٠٢ .
- (١٠٢). امير خور الاكبر : وظيفة يقوم صاحبها بالأشراف على إسطنبول السلطان ورعاية ما فيها من خيل وحيوانات, أي انه يسيطر على جميع الخيول السلطانية , ينظر ، سعيد عبدالفتاح عاشور : العصر ، ص ٤١٤ .
- (١٠٣). انطول خليل ضومط : الدولة المملوكية، ص ٧٩ .
- (١٠٤). الاستادار: وظيفة من وظائف ارباب السيوف يتولى صاحبها شؤون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشرب والحاشية والغلمان وله مطلق التصرف في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوي وما يجري مجرى ذلك من الممالك وغيرهم .، ينظر القلقشندي : صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٢٠ ؛ ج ٥ ، ص ٤٥٧ .

- (١٠٥). المقريري : السلوك ، ج ٣ ، ق ٣ ، ص ٩٩٥.
- (١٠٦). انطول خليل ضومط: الدولة المملوكية ، ص ٩٩ ..
- (١٠٧). سعيد عبدالفتاح عاشور : العصر ، ص ٣٦٣ .
- (١٠٨). ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٨٧.
- (١٠٩). ابن طولون، شمس الدين محمد(ت: ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م): مفاكهة الخلان في حوادث الزمان(تأريخ مصر والشام)، تحقيق: محمد مصطفى، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة، ١٩٦٢م)، ج ١، ص ٥١ .
- (١١٠). ابن اياس : بدائع ، ج ٣ ، ص ٤٧٤ .
- (١١١). ابن اياس : بدائع ، ج ٤، ص ٨٩١.
- (١١٢). مفيد الزيدي : موسوعة ، ص ٣٠٤-٣٠٥.
- (١١٣). انطول خليل ضومط: الدولة المماليك ، ص ١٤ .
- (١١٤). مفيد الزيدي : موسوعة ، ص ٣٠٨ .
- (١١٥). مرج دابق : منطقة قرب حلب، دارت بها معركة بين المماليك الجركسية بقيادة السلطان قانصوه الغوري والعثمانيين بقيادة السلطان سليم الاول في (٢٥ رجب - ٩٢٢هـ/ اب - ١٥١٦م) وانتهت بهزيمة المماليك ومقتل قانصوه الغوري. للمزيد ، ينظر، ابن اياس : بدائع ، ج ٣ ، ص ٤٥ .
- (١١٦). ابن اياس: بدائع، ج ٣، ص ١٠١؛ محمد سهيل طقوش : تاريخ المماليك ، ص ٥٦٩ .
- (١١٧). سورة آل عمران : من الآية ، ١٤٠ .
- (١١٨). العيني ، بدرالدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى (ت: ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد امين، الهيئة المصرية العامة للكتاب(القاهرة، دت)، ج ١، ص ٢٧

- (١١٩). القيمرية : نسبة الى قيصر وهي قلعة من الجبال بين الموصل و خلاط وكان أهلها من الاكراد واليها نسب هؤلاء الاكراد. للمزيد، ينظر ،ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مج ٤ ، ص ٢١٨ .
- (١٢٠). ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) : تأريخ ابن الوردي ، تحقيق : محمد مهدي السيد حسن الخرساني ، المطبعة الحيدرية، (النجف ، ١٩٦٩)، ج ٢ ، ص ٢٦٤ .
- (١٢١). العيني: عقد الجمان، ج ١، ص ٣٣ .
- (١٢٢). اليونيني : ذيل ، ج ١ ، ص ٣٧٦ .
- (١٢٣). المقرئزي : السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ٢٨٦؛ سعيد عبدالفتاح عاشور : العصر ، ص ٣٦٢ .
- (١٢٤). المقرئزي : السلوك ، ج ٦ ، ق ١ ، ٢٨٦ .
- (١٢٥). المقرئزي : السلوك ، ج ٦ ، ق ١ ، ٢٨٦؛ سعيد عبدالفتاح عاشور : العصر ، ص ٣٢٦ .
- (١٢٦). سعيد عبدالفتاح عاشور : العصر ، ص ٣٢٨ .
- (١٢٧). المقرئزي : السلوك ، ج ٢ ، ق ١ ، ١٢٨ .
- (١٢٨). سعيد عبدالفتاح عاشور : مصر والشام ، ص ٣٢٨ .
- (١٢٩). سعيد عبدالفتاح عاشور : العصر ، ص ٢٢١ .
- (١٣٠). المقرئزي : السلوك ، ج ٦ ، ق ١ ، ٢٨٦؛ سعيد عبدالفتاح عاشور : مصر والشام ، ص ٣٤٠ .
- (١٣١). سعيد عبدالفتاح عاشور : مصر والشام ، ص ٣٤١ .
- (١٣٢). سيف الدين كوندك : وهو من جملة الامراء الظاهرية إذ تولى نيابة السلطنة في مصر على عهد السلطان السعيد (٦٧٦-٦٧٧هـ / ١٢٧٧-١٢٧٧م) وعلى أثر قيام المنصور قلاوون باضطهاد الظاهرية الذين تآمروا

ضده فقام بعزل كوندك ولما اراد كوندك اغتيال المنصور قلاوون قبض عليه وارسله الى بحرية طبرية إذ برق غرق فيها. للمزيد ، ينظر ، ابن عبدالظاهر ، تشریف - ص ٨٤ .

(١٣٣). ابو الفداء: المختصر، ج٤، ص١٣؛ سعيد عبدالفتاح عاشور : العصر ، ص ٢٢٣ .

(١٣٤). ابن تغري ي بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ١٤٥-١٤٧ .

(١٣٥). الدوادار : أي ممسك الدواة ، الوظيفة اسمها الدوادية وصاحبها يحمل

دواة السلطان أو الامير ويقوم بإبلاغ الرسائل عنه وتقديم القصص والشكاوي

اليه . ينظر ، سعيد عبدالفتاح عاشور : العصر ، ص ٤٣٨

(١٣٦). سعيد عبدالفتاح عاشور : مصر والشام ، ص ٣٤٥ .

(١٣٧). سعيد عبدالفتاح عاشور: العصر، ٣٢٧.

(١٣٨). يلبغا الناصري / نسبة لجالبه الظاهري برقوق الأتابكي. أصله من أعيان

خاصكية ثم قدمه الناصر ولده ولما تجرد إلى البلاد الشامية جعله نائب غيبته

بالقاهرة، لما تسلطن المؤيد نقله إلى الأتابكية مات في سنة (٥٨١٧/١٤١٤م)

. للمزيد، ينظر، السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن

محمد: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة

(بيروت، دت)، ج ٦، ص ٢٩٠-٢٩١

(١٣٩). منطاش: كَانَ اسْمُهُ تَمْرِبَغَا وَتَنَقَّلَ مِنْطَاشَ إِلَى أَنْ وُلَاهُ الظَّاهِرُ بَرْقُوقَ

نِيَابَةِ السُّلْطَانَةِ بِمِلْطِيَّةٍ فِي سَنَةِ (٥٧٨٨/١٣٨٦م) فَجَمَعَ كَثِيرًا مِنَ التُّرْكَمَانَ

وَأَظْهَرَ الْعُصَيَّانَ فَلَمَّا بَلَغَ الظَّاهِرُ ذَلِكَ جَهَّزَ إِلَيْهِ عَسْكَرًا وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ

بِقَتْلِهِ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ (٥٧٩٥/١٣٩٢م). للمزيد، ينظر، ابن حجر العسقلاني،

أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) :

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس

دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد (الهند، ١٩٧٢)، ج ٦، ص ١٢٨-١٣٠ .

- (١٤٠). ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٢٥٩ .
- (١٤١). المقرئزي : السلوك ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٦٦٦-٦٦٧ .
- (١٤٢). المقرئزي : السلوك ، ج ٣ ، ق ١ ، ص ٦٦٧ ..
- (١٤٣). سعيد عبدالفتاح عاشور : مصر والشام ، ص ٣٤٨ .
- (١٤٤). سعيد عبدالفتاح عاشور : العصر ، ص ٣٣٦ .
- (١٤٥). ابن اياس : بدائع ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .
- (١٤٦). عمار محمد النهار: تاريخ المماليك ص ٨٣-٨٤.
- (١٤٧). بدائع، ج ١، ص ١٧٣.
- (١٤٨). ديوان الإنشاء : أهم الدواوين ويوجد في القلعة وله (قاعدة الانشاء)
مخصصة له ورئيسه من رجال القلعة من المصريين ويلقب بصاحب الانشاء
أو كاتم السر أو كاتب السر لأنه يكتُم اسرار الدولة ، ووظيفة الديوان هي
تبادل المكاتبات الرسمية الخاصة للدولة وهي ترد للسلطان من مختلف الدول
، والرد عليها واعداد الرسائل والخطابات التي يبعث بها السلطان إلى مختلف
الامراء والملوك. للمزيد . ينظر ، مفيد الزبيدي : موسوعة ، ص ٢١٧ .
- (١٤٩). سعيد عبدالفتاح عاشور : مصر والشام ، ص ٣٥٢ .
- (١٥٠). النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٤٧.

**Political unity between the Marine Mamluks state
(648-784A.H. / 1250-1382A.D.) and the Mamluk Jerxih
state (784-923A.H. / 1382-1517A.D) and its diversity.**

Abstract

Political unity and diversity between the Marine Mamluks and the Mamluk Jerxih state is considered as an important subject that didn't find enough research by people working in this field because they mostly focused on other fields of Mamluk political history. The motive of researching it was the lack of independent studies and previous research that dealt



with political unity and diversity between the two elements

Historical studies have paid great attention to studying the political history of the Emirates and the countries that are in west and east Islamic state including the Mamluk state with both jerxi and marine. Most researchers' efforts have not turned towards the study and showing the political unity and diversity elements with an important role in the field of history and humanity in general and Islamic civilization in particular. Some aspects of which still need efforts of researchers to complete the political image for these two countries. Therefore, this research began dealing with unity and diversity in the political situations of these two countries, which is an important aspect in the study of nearly three centuries of history of the Islamic nation because it include an important aspects of the history of these two countries. Researchers had to expose Islamic influence in the basic components of the Emirates and the States, which was born from the womb of the State Center dimensions (Mother) and what Islamic minds achieve there. Muslims have succeeded in building a strong nation and State holding million individuals of different ethnicities; and live alongside each other easily and conveniently making use of their former heritage and experiences in the construction of a great civilization that left enormous wealth still active and vital in the field of the history of world civilization .

جامعة تكريت